

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضِلَّهُ، فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^١.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^٢.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^٣.

أما بعد فإنني كنت طالعت وصية أبي بكر رضي الله عنه في بعض كتب الأدب، في بداية الطلب، فإذا بها روضة غناء، وجنة فيحاء، قليلة المبنى غزيرة المعنى، وقد ظللت مدة من الدهر أروم كشف نقابها، وأميط اللثام عن جمالها، حتى يسر الله الحديث عنها في أربع خطب، ثم عزمت على شرحها، ولما كانت قد جمعت من أسباب الفوز والفلاح جملاً من الآداب، واشتملت على طائفة من الحكم مشرعة الأبواب، ودرراً من جوامع الكلام تشد فيما دونها الرحال، وتقطع لأجل تحصيلها الفيافي والقفار، وموردًا عذبًا يروي الغليل، وظلاً وارفاً يتفياؤا ظلاله كل مكدود كليل، استعنت الله وهو خير مستعان، وكشفت النقاب عن كوامن حسناتها الفتان، فإذا هي من الحسن بدر التمام، وإذا بها شمس في سماء البيان، ولا عجب فإنها من مشكاة النبوة خرجت، وعلى درب الفصاحة درجت، فصاحبها ثاني اثنين إذ هما في الغار، وأقرب الناس لقلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلا عجب أن تجري

١ - سورة آل عمران: الآية/ ١٠٢

٢ - سورة النساء: الآية/ ١

٣ - سورة الأحزاب: الآية/ ٧٠، ٧١

الحكمة على لسان، وقد أشربه بطول صحبته جنانه، ولما كانت وصيته من الأهمية بمكان، ذكرت لكل قول ما يشهد له من آيات القرآن والسنة النبوية، وآثار السلف عليهم رضوان الله، وحرصت أن يكون التعلق على كلماتها وسطاً ليس بالطول الملل، ولا بالإيجاز المخل، يلقي الضوء على ما كان عليه سلفنا من جميل الصفات، وكريم السمائل والأخلاق، والله الكريم أسأل ينفع بها وأن يجعلها ذخراً ليوم المعاد. بدأتها على سبيل الترقى بترجمة لزيد اليامي الراوي لها، ثم ترجمة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم ترجمة لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، ثم شرح الوصية وبيان ما فيها من الحكم والفوائد.

والحمد لله أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم. وكتبه الفقير إلى عفو ربه / سعيد بن مصطفى دياب

الدوحة في / السابع من ذي القعدة: ١٤٤٦ هـ

الموافق: الخامس من مايو: ٢٠٢٥ م

وصية أبي بكرٍ لعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا

عَنْ زُبَيْدِ الْيَامِيِّ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: «إِنِّي مُوصِيكَ بِوَصِيَّةٍ إِنْ حَفِظْتَهَا: إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى حَقًّا بِالنَّهَارِ لَا يَقْبَلُهُ بِاللَّيْلِ، وَلِلَّهِ فِي اللَّيْلِ حَقًّا لَا يَقْبَلُهُ فِي النَّهَارِ، وَإِنَّمَا لَا تُقْبَلُ نَافِلَةٌ حَتَّى تُؤَدَّى الْفَرِيضَةُ، إِنَّمَا ثَقُلْتَ مَوَازِينَ مَنْ ثَقُلْتَ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمْ فِي الدُّنْيَا الْحَقَّ، وَثَقُلَهُ عَلَيْهِمْ، وَحَقٌّ لِمِيزَانٍ أَنْ لَا يُوضَعَ فِيهِ إِلَّا الْحَقُّ أَنْ يَكُونَ ثَقِيلًا، وَإِنَّمَا خَفَّتْ مَوَازِينُ مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمْ فِي الدُّنْيَا الْبَاطِلَ، وَخَفَّتِهِ عَلَيْهِمْ، وَحَقٌّ لِمِيزَانٍ إِلَّا يُوضَعَ فِيهِ إِلَّا الْبَاطِلُ أَنْ يَخَفَّ، وَإِنَّ اللَّهَ ذَكَرَ أَهْلَ الْجَنَّةِ بِصَالِحِ مَا عَمِلُوا، وَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ، فَيَقُولُ الْقَائِلُ: أَنَا أَفْضَلُ مِنْ هَؤُلَاءِ، وَذَكَرَ آيَةَ الرَّحْمَةِ، وَآيَةَ الْعَذَابِ، فَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ رَاغِبًا رَاهِبًا، وَلَا يَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ، وَلَا يُلْقِي بِيَدِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ، فَإِنْ حَفِظْتَ قَوْلِي فَلَا يَكُونَنَّ غَائِبٌ أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ، وَلَا بُدَّ لَكَ مِنْهُ، وَإِنْ ضَيَّعْتَ وَصِيَّتِي فَلَا يَكُونَنَّ غَائِبٌ أَبْغَضُ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ، وَلَنْ تُعْجِزَهُ»^١.

وفي رواية عنه قَالَ: لَمَّا حَضَرْتُ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْوَفَاةَ بَعَثَ إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِيَسْتَخْلِفَهُ، فَكَانَ مِمَّا قَالَ لَهُ: «إِنِّي مُوصِيكَ بِوَصِيَّةٍ إِنْ حَفِظْتَهَا: إِنَّ لِلَّهِ حَقًّا فِي اللَّيْلِ لَا يَقْبَلُهُ فِي النَّهَارِ ، وَإِنَّ لِلَّهِ حَقًّا فِي النَّهَارِ لَا يَقْبَلُهُ فِي اللَّيْلِ، وَأَنَّهُ لَا يَقْبَلُ نَافِلَةٌ حَتَّى تُؤَدَّى الْفَرِيضَةُ، وَإِنَّمَا خَفَّتْ مَوَازِينُ مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمْ الْبَاطِلَ فِي الدُّنْيَا وَخَفَّتِهِ عَلَيْهِمْ، وَحَقٌّ لِمِيزَانٍ لَا يُوضَعَ فِيهِ إِلَّا الْبَاطِلُ أَنْ يَكُونَ خَفِيفًا، وَإِنَّمَا ثَقُلْتَ مَوَازِينُ مَنْ ثَقُلْتَ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمْ الْحَقَّ فِي الدُّنْيَا وَثَقُلَهُ عَلَيْهِمْ، وَحَقٌّ لِمِيزَانٍ لَا يُوضَعَ فِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا الْحَقُّ أَنْ يَكُونَ ثَقِيلًا، أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ أَهْلَ الْجَنَّةِ بِصَالِحِ مَا عَمِلُوا، وَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ، فَيَقُولُ الْقَائِلُ: أَلَا بَلَغَ هَؤُلَاءِ، وَذَكَرَ أَهْلَ النَّارِ بِسَيِّئِ مَا عَمِلُوا وَرَدَّ عَلَيْهِمْ صَالِحِ مَا عَمِلُوا، فَيَقُولُ الْقَائِلُ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ، وَذَكَرَ آيَةَ الرَّحْمَةِ وَآيَةَ الْعَذَابِ، فَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ رَاغِبًا رَاهِبًا، وَلَا يَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ، وَلَا يُلْقِي بِيَدِهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ، فَإِنْ أَنْتَ حَفِظْتَ قَوْلِي

هَذَا فَلَا يَكُنْ غَائِبٌ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ وَلَا بُدَّ لَكَ مِنْهُ، وَإِنْ أَنْتَ ضَيَّعْتَ قَوْلِي هَذَا فَلَا يَكُنْ غَائِبٌ أَبْغَضَ إِلَيْكَ مِنْهُ وَلَنْ تُعْجِزَهُ»^١.

١ - رواه ابن أبي شيبة- كتاب الزهد، كلام أبي بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه، حديث رقم: ٣٤٤٣٣

ترجمة زَيْدِ الْيَامِي

اسمه:

هو زَيْدُ بن الحارث بن عبد الكريم بن جُحْدُب بن دُهل بن مالك بن الحارث بن ذهل بن سلمة بن دَعُول بن جُشَم بن يام من همدان.

كنيته:

أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وأبو عبد الله.

ذكره ابن المديني فيمن لم يلق أحداً من الصحابة.

وقال الذهبي: حدث عن عبد الرحمن بن أبي ليلى وأبي وائل وإبراهيم بن يزيد النخعي وإبراهيم بن سويد النخعي وطائفة وما علمت له شيئاً عن الصحابة وقد رآهم وعداده في صغار التابعين.

ثناء العلماء عليه:

قال شعبة ما رأيت رجلاً خيراً من زيد.

قال نعيم بن ميسرة قال سعيد بن جبير لو خيرت من ألقى الله تعالى في مسلاخه لاخترت زيد اليامي.

قال يحيى القطان: زيد ثبت وقال أبو حاتم وغيره ثقة وروى ليث عن مجاهد قال أعجب أهل الكوفة إليّ أربعة فذكر منهم زيداً.

عبادته:

وقال ابن شبرمة كان زيد يجزئ الليل ثلاثة أجزاء: جزءاً عليه، وجزءاً على ابنه، وجزءاً على ابنه الآخر عبد الرحمن فكان هو يصلي ثم يقول لأحدهما: قم فإن تكاسل صلى جزءه، ثم يقول للآخر: قم فإن تكاسل أيضاً صلى جزءه فيصلّي الليل كله.

ورعه وزهده:

كان زبيد اليامي على قدر كبير من الورع، وكان من الزهاد.

قال سفيان بن عيينة: قال زبيد: ألف بعرة أحب إليّ من ألف دينار.

وروى عبد الله بن إدريس عن عقبة بن إسحاق قال: كان منصور بن المعتمر يأتي زبيد بن الحارث فكان يذكر له أهل البيت، ويعصر عينيه يريده على الخروج أيام زيد بن علي، فقال زبيد: ما أنا بخارج إلا مع نبي وما أنا بواجده.

وقال إسماعيل بن حماد: كنت إذا رأيت زبيد بن الحارث مقبلاً من السوق رجف قلبي.

وروى شجاع بن الوليد عن عمران بن عمرو قال: كان عمي زبيد حاجاً فاحتاج إلى الوضوء فقام فتنحى ثم قضى حاجته، ثم أقبل فإذا هو بماء في موضع لم يكن معهم ماءً، فتوضأ ثم جاءهم ليعلمهم فأتوا فلم يجدوا شيئاً.

قال يونس بن محمد المؤدب: أخبرني زياد قال كان زبيد مؤذن مسجده فكان يقول للصبيان: تعالوا فصلوا أهب لكم جوراً فكانوا يصلون ثم يحيطون به. فقلت له في ذلك فقال: وما عليّ أن أشتري لهم جوراً بخمسة دراهم ويتعودون الصلاة.

وبلغنا عن زبيد أنه كان إذا كانت ليلة مطيرة طاف على عجائز الحي ويقول ألكم في السوق حاجة؟

قال الحسن بن حي: قال زبيد: سمعت كلمة فنفعني الله بها ثلاثين سنة.

قال حصين بن عبد الرحمن: أعطى أميرٌ زبيداً دراهم فلم يقبلها.

وفاته:

قال أبو نُعيم: مات سنة اثنتين وعشرين ومئة.

ترجمةُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

اسمه:

هو عمر بن الخطاب بن نُفَيْل بن عبد العُزَّى بن رياح بن عبد الله بن قُرْط بن رَزَّاح بن عديّ بن كعب، وأمّه حَنْتَمَة بنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم.

كنيته:

يكنى أبا حفص.

مولده:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: وُلِدْتُ قبل الفجار الأعظم الآخر بأربع سنين.

إسلامه:

أسلم عمر رضي الله عنه في ذي الحجة السنة السادسة من النبوة وهو ابن ستّ وعشرين سنة. قال: وكان عبد الله بن عمر يقول: أسلم عمر وأنا ابن ستّ سنين.^١

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اللَّهُمَّ اعِزَّ الْإِسْلَامَ بِأَحَبِّ الرَّجُلَيْنِ إِلَيْكَ: بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، أَوْ بِأَبِي جَهْلٍ بْنِ هِشَامٍ». «وَكَانَ أَحَبَّهُمَا إِلَى اللَّهِ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ».^٢

عن أنس بن مالك قال: خرج عمر مُتَقَلِّدًا السيف فلقى رجلاً من بني زُهرة قال: أين تَعِمِدُ يا عمر؟ فقال: أريد أن أقتل مُحَمَّدًا، قال: وكيف تأمنُ في بني هاشم وبني زُهرة وقد قتلتَ مُحَمَّدًا؟ قال فقال عمر: ما أراك إلا قد صَبَوْتَ وَتَرَكْتَ دينك الذي أنت عليه، قال: أفلا أدلك على العجب يا عمر؟ إِنَّ خَتَنَكَ وَأَخْتَنَكَ قَدْ صَبَوَا وَتَرَكَا دينك الذي أنت عليه. قال فمشى عُمَرُ ذامراً حَتَّى أَتَاهَا وَعِنْدَهُمَا

١ - الطبقات الكبير (٣/ ٢٥٠)

٢ - رواه أحمد - رقم: ٥٦٩٦، والترمذي - أبواب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب في مناقب أبي حفص عُمَرَ بن الخطاب رضي الله عنه، حديث رقم: ٤٠١٣، بسند حسن

رجلٌ من المهاجرين يقال له حَبَّاب. قال فلَمَّا سَمِعَ حَبَّابُ حِسَّ عمر تَوَارَى فِي الْبَيْتِ، فَدَخَلَ عَلَيْهِمَا فَقَالَ: مَا هَذِهِ الْهَيْئَةُ الَّتِي سَمِعْتُهَا عِنْدَكُمْ؟ قَالَ وَكَانُوا يَقْرَءُونَ: ﴿طه﴾ فَقَالَا: مَا عَدَا حَدِيثًا تَحْدِثُنَاهُ بَيْنَنَا، قَالَ: فَلَعَلَّكُمَا قَدْ صَبَوْتُمَا؟ قَالَ فَقَالَ لَهُ حَتُّهُ: أَرَأَيْتَ يَا عُمَرُ إِنْ كَانَ الْحَقُّ فِي غَيْرِ دِينِكَ؟ قَالَ فَوَثَبَ عُمَرُ عَلَى حَتُّهِ فَوَطِئَهُ وَطَأً شَدِيدًا فَجَاءَتْ أُخْتُهُ فَدَفَعَتْهُ عَنْ زَوْجِهَا فَنَفَحَهَا بِيَدِهِ نَفْحَةً فَدَمَّى وَجْهَهَا فَقَالَتْ وَهِيَ غَضَبِي: يَا عُمَرُ إِنْ كَانَ الْحَقُّ فِي غَيْرِ دِينِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ. فَلَمَّا يئِسَ عُمَرُ قَالَ: أَعْطُونِي هَذَا الْكِتَابَ الَّذِي عِنْدَكُمْ فَأَقْرَأَهُ. قَالَ: وَكَانَ عُمَرُ يَقْرَأُ الْكِتَابَ، فَقَالَتْ أُخْتُهُ: إِنَّكَ رَجِسٌ وَلَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ فَتَغْتَسِلْ أَوْ تَوَضَّأْ. قَالَ فَقَامَ عُمَرُ فَتَوَضَّأَ ثُمَّ أَخَذَ الْكِتَابَ فَقَرَأَ: ﴿طه﴾ حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [سورة طه: ١ - ١٤]، قَالَ: فَقَالَ عُمَرُ: ذُلُّونِي عَلَى مُحَمَّدٍ. فَلَمَّا سَمِعَ حَبَّابُ قَوْلَ عُمَرَ خَرَجَ مِنَ الْبَيْتِ فَقَالَ: أَبَشِّرْ يَا عُمَرُ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونَ دَعْوَةُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَكَ لَيْلَةُ الْخَمِيسِ: اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَوْ بِعَمْرِو بْنِ هِشَامٍ، قَالَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي الدَّارِ الَّتِي فِي أَصْلِ الصَّفَا. فَانْطَلَقَ عُمَرُ حَتَّى أَتَى الدَّارَ، قَالَ: وَعَلَى بَابِ الدَّارِ حَمْزَةٌ وَطَلْحَةُ وَأَنَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا رَأَى حَمْزَةَ وَجَلَ الْقَوْمُ مِنْ عُمَرَ قَالَ حَمْزَةُ: نَعَمْ فَهَذَا عُمَرُ، فَإِنْ يُرِدِ اللَّهُ بِعُمَرَ خَيْرًا يُسَلِّمَ وَيَتَّبِعِ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِنْ يُرِدْ غَيْرَ ذَلِكَ يَكُنْ قَتْلُهُ عَلَيْنَا هَيِّنًا. قَالَ وَالنَّبِيُّ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، دَاخِلٌ يُوحَى إِلَيْهِ، قَالَ فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى أَتَى عُمَرَ فَأَخَذَ بِمَجَامِعِ ثَوْبِهِ وَحَمَائِلِ السَّيْفِ فَقَالَ: أَمَا أَنْتَ مُنْتَهِيًا يَا عُمَرُ حَتَّى يُنْزَلَ اللَّهُ بِكَ مِنَ الْخِزْيِ وَالنَّكَالِ مَا أَنْزَلَ بِالْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ؟ اللَّهُمَّ هَذَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، اللَّهُمَّ أَعِزِّ الدِّينَ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ فَقَالَ عُمَرُ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ. فَأَسْلَمَ وَقَالَ: اخْرُجْ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

فضائل عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا زِلْنَا أَعَزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ».^١

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَبُو بَكْرٍ فِي الْجَنَّةِ، وَعُمَرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعُثْمَانُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلِيٌّ فِي الْجَنَّةِ، وَطَلْحَةُ فِي الْجَنَّةِ، وَالزُّبَيْرُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعْدُ فِي الْجَنَّةِ، وَسَعِيدُ فِي الْجَنَّةِ، وَأَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ فِي الْجَنَّةِ».^٢

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِقَدَحِ لَبَنٍ، فَشَرِبْتُ مِنْهُ، ثُمَّ أُعْطِيتُ فَضْلِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ. قَالُوا: فَمَا أَوْلَتْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الْعِلْمُ».^٣

وَعَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: «وُضِعَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى سَرِيرِهِ فَتَكَنَّفَهُ النَّاسُ يَدْعُونَ وَيُثْنُونَ، وَيُصَلُّونَ عَلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ، وَأَنَا فِيهِمْ. قَالَ: فَلَمْ يُرْعِنِي إِلَّا بِرَجُلٍ قَدْ أَخَذَ بِمَنْكِبِي مِنْ وَرَائِي، فَالْتَفَتُ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ عَلِيٌّ، فَتَرَحَّمَ عَلَيَّ عُمَرُ وَقَالَ: مَا حَلَلْتَ أَحَدًا أَحَبَّ إِلَيَّ أَنْ أَلْقَى اللَّهَ بِمِثْلِ عَمَلِهِ مِنْكَ، وَإِنَّمِ اللَّهُ إِنْ كُنْتُ لَأَظُنُّ أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَ صَاحِبَيْكَ، وَذَلِكَ أَنِّي كُنْتُ أَكْثَرُ أَسْمَعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: جِئْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَدَخَلْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فَإِنْ كُنْتُ لَأَرْجُو أَوْ لَأَظُنُّ أَنْ يَجْعَلَكَ اللَّهُ مَعَهُمَا».^٤

١ - رواه البخاري- كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه، حديث

رقم: ٣٦٨١

٢ - رواه أحمد- حديث رقم: ١٦٧٥، والترمذي- أبواب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب مناقب عبد الرحمن

بن عوف بن عبد عوف الزهري رضي الله عنه، حديث رقم: ٣٧٤٧، بسند صحيح

٣ - رواه البخاري- كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه، حديث رقم:

٣٦٨١، ومسلم- كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: من فضائل عمر رضي الله تعالى عنه، حديث رقم: ٢٣٩١

٤ - رواه البخاري- كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه، حديث رقم:

٣٦٨٥، ومسلم- كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: من فضائل عمر رضي الله تعالى عنه، حديث رقم: ٢٣٨٩

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ وَعَلَيْهِمْ قُمْصٌ، مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الشَّدِيدِ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذَلِكَ، وَمَرَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجُرُّهُ، قَالُوا: مَاذَا أَوَلَتْ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الدِّين»^١.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي عَلَى قَلْبٍ عَلَيْهَا دَلْوٌ، فَنَزَعْتُ مِنْهَا مَا شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ فَنَزَعَ بِهَا ذُتُوبًا أَوْ ذُتُوبَيْنِ وَفِي نَزْعِهِ - وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ - ضَعْفٌ، ثُمَّ اسْتَحَالَتْ غَرَبًا فَأَخَذَهَا ابْنُ الْخَطَّابِ، فَلَمْ أَرِ عَبْقَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَنْزِعُ نَزْعَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنِ»^٢.

وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَرَأَيْتُ فِيهَا دَارًا أَوْ قَصْرًا، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَدْخُلَ فَذَكَرْتُ غَيْرَتَكَ، فَبَكَى عُمَرُ وَقَالَ: أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ، أَوْ عَلَيْكَ يُعَارُ؟»^٣.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ رَأَيْتُنِي فِي الْجَنَّةِ، فَإِذَا امْرَأَةٌ تَوْضَأُ إِلَى جَانِبِ قَصْرِ، فَقُلْتُ: لِمَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَذَكَرْتُ غَيْرَةَ عُمَرَ فَوَلَّيْتُ مُدِيرًا. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَبَكَى عُمَرُ وَنَحْنُ جَمِيعًا فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: يَا أَيُّ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعَلَيْكَ أَعَارُ؟»^٤.

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «اسْتَأْذَنَ عُمَرُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ نِسَاءٌ مِنْ قُرَيْشٍ يُكَلِّمْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَ عَالِيَةً أَصْوَاهُنَّ، فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ قُفِيَ يَبْتَدِرْنَ الْحِجَابَ،

١ - رواه مسلم - كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٢٣٩٠

٢ - رواه البخاري - كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، بَابُ مَنَاقِبِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَبِي حَفْصٍ الْقُرَشِيِّ الْعَدَوِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٣٦٨٢، وَمُسْلِمٌ - كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، حَدِيثٌ رَقْمٌ:

٢٣٩٢

٣ - رواه مسلم - كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٢٣٩٤

٤ - رواه البخاري - كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، بَابُ مَنَاقِبِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَبِي حَفْصٍ الْقُرَشِيِّ الْعَدَوِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٣٦٧٩، وَمُسْلِمٌ - كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، حَدِيثٌ رَقْمٌ:

٢٣٩٥

فَإِذِنْ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضْحَكُ، فَقَالَ عُمَرُ: أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّائِي كُنَّ عِنْدِي، فَلَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ ابْتَدَرْنَ الْحِجَابَ! قَالَ عُمَرُ: فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ يَهَبْنَ! ثُمَّ قَالَ عُمَرُ: أَيُّ عَدَوَاتٍ أَنْفُسِهِنَّ، أَتَهَبْنِي وَلَا تَهَبَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قُلْنَ: نَعَمْ، أَنْتَ أَغْلَطُ وَأَفْطُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقَيْكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَعَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ».^١

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «قَدْ كَانَ يَكُونُ فِي الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدِّثُونَ، فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي مِنْهُمْ أَحَدٌ فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ مِنْهُمْ».^٢

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ كَانَ فِيمَا قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ مُحَدِّثُونَ، فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي أَحَدٌ فَإِنَّهُ عُمَرُ».^٣

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَمَا رَاعٍ فِي غَنَمِهِ عَدَا الذِّئْبُ فَأَخَذَ مِنْهَا شَاةً، فَطَلَبَهَا حَتَّى اسْتَقْدَمَهَا، فَالْتَمَتَ إِلَيْهِ الذِّئْبُ، فَقَالَ لَهُ: مَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبْعِ، لَيْسَ لَهَا رَاعٍ غَيْرِي فَقَالَ النَّاسُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَإِنِّي أَوْمِنُ بِهِ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَمَا تَمَّ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ».^٤

قَالَ ابْنُ وَهْبٍ: تَفْسِيرُ مُحَدِّثُونَ مُلْهُمُونَ.

١ - رواه البخاري- كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه، حديث رقم: ٣٦٨٣، ومسلم- كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: من فضائل عمر رضي الله تعالى عنه، حديث رقم: ٢٣٩٦

٢ - رواه مسلم- كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: من فضائل عمر رضي الله تعالى عنه، حديث رقم: ٢٣٩٨

٣ - رواه البخاري- كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه، حديث رقم: ٣٦٨٩

٤ - رواه البخاري- كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه، حديث رقم: ٣٦٨٩

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «صَعِدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أُحُدٍ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ، فَرَجَفَ بِهِمْ فَضْرَبَهُ بِرِجْلِهِ قَالَ: اثْبُتْ أُحُدُ، فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ، أَوْ صِدِّيقٌ، أَوْ شَهِيدَانِ»^١.
وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ عُمَرُ: «وَأَفَقْتُ رَبِّي فِي ثَلَاثٍ؛ فِي مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ، وَفِي الْحِجَابِ، وَفِي أُسَارَى بَدْرٍ»^٢.

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «لَمَّا تُؤَيِّعُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَلُولَ جَاءَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ قَمِيصَهُ أَنْ يُكْفَنَ فِيهِ أَبَاهُ، فَأَعْطَاهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَقَامَ عُمَرُ فَأَخَذَ بِثَوْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُصَلِّيُ عَلَيْهِ وَقَدْ هَكَكَ اللَّهُ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّمَا خَيْرِي اللَّهُ فَقَالَ: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ - وَسَأَزِيدُ عَلَى سَبْعِينَ. قَالَ: إِنَّهُ مُنَافِقٌ! فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾»^٣.

عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَشَدُّ النَّاسِ فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَى:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَفَرُّهُمْ أَبِي بْنُ كَعْبٍ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ»^٤.

١ - رواه البخاري - كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه، حديث رقم: ٣٦٨٦

٢ - رواه مسلم - كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: من فضائل عمر رضي الله تعالى عنه، حديث رقم: ٢٣٩٩

٣ - رواه مسلم - كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: من فضائل عمر رضي الله تعالى عنه، حديث رقم: ٢٤٠٠

٤ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٢٩٠٤، والترمذي - أبواب المناقب عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب مناقب معاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبي، وأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم، حديث رقم: ٣٧٩٠، وابن ماجه - المقدمة، فضائل زيد بن ثابت، حديث رقم: ١٥٤، بسند صحيح

عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي الْعَدْلِ:

وروى زيد بن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب طاف ليلة فإذا هو بامرأة في جوف دار لها وحولها صبيان يبكون وإذا قدر على النار قد ملأتهما ماء فدنا عمر بن الخطاب من الباب فقال يا أمة الله أيش بكاء هؤلاء الصبيان فقالت بكاؤهم من الجوع قال فما هذه القدر التي على النار فقالت قد جعلت فيها ماء أعللهم بها حتى يناموا أوهمهم أن فيها شيئاً من دقيق وسمن فجلس عمر فبكى ثم جاء إلى دار الصدقة فأخذ غرارة وجعل فيها شيئاً من دقيق وسمن وشحم وتمر وثياب ودارهم حتى ملأ الغرارة ثم قال يا أسلم احمل علي فقلت يا أمير المؤمنين أنا أحمله عنك فقال لي لا أم لك يا أسلم أنا أحمله لأني أنا المسؤول عنهم في الآخرة قال فحمله على عنقه حتى أتى به منزل المرأة قال وأخذ القدر فجعل فيها شيئاً من دقيق وشيئاً من شحم وتمر وجعل يحركه بيده وينفخ تحت القدر قال أسلم وكانت لحيته عظيمة فرأيت الدخان يخرج من خلل لحيته حتى طبخ لهم ثم جعل يغرف بيده ويطعمهم حتى شبعوا ثم خرج وربض بجذائهم كأنه سبع وخفت منه أن أكمله فلم يزل كذلك حتى لعبوا وضحكوا ثم قال يا أسلم أتدري لم ربضت بجذائهم قلت لا يا أمير المؤمنين قال رأيتهم سيكون فكرهت أن أذهب وأدعهم حتى أراهم يضحكون فلما ضحكوا طابت نفسي^١.

وفاته رضي الله عنه:

عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ قَالَ: رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَبْلَ أَنْ يُصَابَ بِأَيَّامِ الْمَدِينَةِ، قَالَ عُمَرُ: لَيْتَنِي سَلَّمَنِي اللَّهُ، لَأَدْعَنَ أَرَامِلَ أَهْلِ الْعِرَاقِ لَا يَحْتَجْنَ إِلَى رَجُلٍ بَعْدِي أَبَدًا، قَالَ: فَمَا أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا رَابِعَةٌ حَتَّى أُصِيبَ، قَالَ: إِنِّي لَقَائِمٌ مَا بَيْنِي وَبَيْنَهُ إِلَّا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ غَدَاةً أُصِيبَ، وَكَانَ إِذَا مَرَّ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ قَالَ: اسْتَوُوا، حَتَّى إِذَا لَمْ يَرِ فِيهِمْ حُلًّا تَقَدَّمَ فَكَبَّرَ، وَرُبَّمَا قَرَأَ سُورَةَ يُوسُفَ أَوْ النَّحْلَ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ فِي الرُّكْعَةِ الْأُولَى حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّاسُ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ كَبَّرَ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: قَتَلَنِي - أَوْ أَكَلَنِي - الْكَلْبُ، حِينَ طَعَنَهُ، فَطَارَ الْعِلْجُ بِسِكِّينٍ ذَاتِ طَرَفَيْنِ، لَا يَمُرُّ عَلَى أَحَدٍ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا إِلَّا طَعَنَهُ، حَتَّى طَعَنَ ثَلَاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا، مَاتَ مِنْهُمْ سَبْعَةٌ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ طَرَحَ عَلَيْهِ بُرْنُسًا، فَلَمَّا

١ - أسد الغابة في معرفة الصحابة (٦٧ / ٤)

ظَنَّ الْعِلْجُ أَنَّهُ مَأْخُودٌ نَحَرَ نَفْسَهُ، وَتَنَاوَلَ عُمَرُ يَدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ فَقَدَّمَهُ، فَمَنْ يَلِي عُمَرَ فَقَدْ رَأَى الَّذِي أَرَى، وَأَمَّا نَوَاحِي الْمَسْجِدِ فَإِنَّهُمْ لَا يَدْرُونَ، غَيْرَ أَنَّهُمْ قَدْ فَقَدُوا صَوْتَ عُمَرَ، وَهُمْ يَقُولُونَ: سُبْحَانَ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ، فَصَلَّى بِهِمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ صَلَاةً خَفِيفَةً، فَلَمَّا انْصَرَفُوا قَالَ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، انْظُرْ مَنْ قَتَلَنِي، فَجَالَ سَاعَةً ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: عَلَامُ الْمُغِيرَةِ، قَالَ: الصَّنْعُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: قَاتَلَهُ اللَّهُ، لَقَدْ أَمَرْتُ بِهِ مَعْرُوفًا، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَجْعَلْ مِيتَتِي بِيَدِ رَجُلٍ يَدَّعِي الْإِسْلَامَ.^١

١ - رواه البخاري - كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، قِصَّةُ الْبَيْعَةِ وَالْإِتِّفَاقِ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٣٧٠٠

ترجمةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

اسمه ونسبه:

هو أبو بكر الصِّدِّيق، رضي الله عنه واسمه عبد الله بن أبي قُحافة، واسمه عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرَّة، وأمه أم الخير واسمها سَلْمَى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرَّة، وكان لأبي بكر من الولد عبدُ الله وأسماء ذات النِّطاقين وأُمُّهُمَا قُتَيْلَة بنت عبد العُزَّى، وعبد الرَّحْمَن وعائشة وأُمُّهُمَا أم رومان بنت عامر، ومُحمَّد بن أبي بكر وأمه أسماء بنت عُميس، وأم كلثوم بنت أبي بكر وأُمُّها حبيبة بنت خارِجة بن زيد.

وكان أبو بكر يلقب بعتيق، وقيل: بل كان اسمه عتيق، ولقبه الذي اشتهر به الصديق.

مولده:

وُلِدَ أبو بكر بعد الفيل بثلاث سنين.

إسلامه:

أبو بكر الصِّدِّيق أوَّل من أسلم من الرجال؛ فعن أسماء بنت أبي بكر قالت: أسلم أبي أوَّل المسلمين ولا والله ما عقلت أبي إلا وهو يدينُ الدينَ.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما عَقَلْتُ أَبَوَيَّ إِلَّا وهما يدينان الدين وما مرَّ علينا يومٌ قطَّ إِلَّا ورسول الله يأتينا فيه بُكرة وعشيَّة.

وقال رجل لبلال: من سَبَق؟ قال: مُحمَّد، قال: من صَلَّى؟ قال: أبو بكر، قال: قال الرجل إنَّما أعني في الخيل، قال بلال: وأنا إنَّما أعني في الخير.

أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه يبذل ماله كله في سبيل الله تعالى:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: «حَطَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَيْرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ. فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: مَا يُبْكِي هَذَا الشَّيْخَ؟ إِنَّ يَكُنِ اللَّهُ خَيْرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْعَبْدَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا، قَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، لَا تَبْكُ، إِنَّ أَمَنَ النَّاسِ

عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي، لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّةُ، لَا يَبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ، إِلَّا بَابُ أَبِي بَكْرٍ»^١.

عن زيد بن أسلم قال: كان أبو بكر معروفًا بالتجارة، لقد بُعث النبي، صلى الله عليه وسلم، وعنده أربعون ألف درهم فكان يُعْتَق منها ويُقَوَّى المسلمون حتى قَدِمَ المدينة بخمسة آلاف درهم ثم كان يفعل فيها ما كان يفعل بمكة.

وعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قال: "أَمَرْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا أَنْ نَتَصَدَّقَ، فَوَافَقَ ذَلِكَ مَالًا عِنْدِي، فَقُلْتُ: الْيَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟»، قُلْتُ: مِثْلَهُ، قَالَ: وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَبْقَيْتَ لِأَهْلِكَ؟» قَالَ: أَبْقَيْتُ هُمْ اللَّهُ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: لَا أَسَابِقُكَ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا"^٢.

رفيق رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة:

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قالت: «لَقَلَّ يَوْمٌ كَانَ يَأْتِي عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا يَأْتِي فِيهِ بَيْتُ أَبِي بَكْرٍ أَحَدَ طَرَفِي النَّهَارِ، فَلَمَّا أُذِنَ لَهُ فِي الْخُرُوجِ إِلَى الْمَدِينَةِ، لَمْ يَرْعُنَا إِلَّا وَقَدْ أَتَانَا ظُهُرًا، فَخَبَّرَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ: مَا جَاءَنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ إِلَّا لِأَمْرٍ حَدَثَ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ قَالَ لِأَبِي بَكْرٍ: أَخْرِجْ مَنْ عِنْدَكَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا هُمَا ابْنَتَايَ، يَعْنِي عَائِشَةَ وَأَسْمَاءَ، قَالَ: أَشَعَرْتَ أَنَّهُ قَدْ أُذِنَ لِي فِي الْخُرُوجِ، قَالَ: الصُّحْبَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الصُّحْبَةُ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ عِنْدِي نَاقَتَيْنِ أَعَدَدْتُهُمَا لِلْخُرُوجِ، فَخُذْ إِحْدَاهُمَا، قَالَ: قَدْ أَخَذْتُهَا بِالثَّمَنِ»^٣.

١ - رواه البخاري - كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: سُدُّوا الْأَبْوَابَ إِلَّا بَابَ أَبِي بَكْرٍ، حديث رقم:

٣٦٥٤

٢ - رواه الدارمي - من كتاب الزكاة، باب الرجل يتصدق بجميع ما عنده، حديث رقم: ١٧٠١، وأبو داود - كتاب الزكاة، باب في الرخصة في ذلك، حديث رقم: ١٦٧٨، والترمذي - أبواب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب، حديث رقم: ٣٦٧٥، والحاكم - أول كتاب الزكاة، حديث رقم: ١٥٢٢، بسند حسن

٣ - رواه البخاري - كتاب البيوع، باب: إِذَا اشْتَرَى مَتَاعًا أَوْ دَابَّةً فَوَضَعَهُ عِنْدَ الْبَائِعِ أَوْ مَاتَ قَبْلَ أَنْ يُقْبَضَ، حديث رقم: ٢١٣٨

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رضي الله عنه حَدَّثَهُ قَالَ: «نَظَرْتُ إِلَى أَقْدَامِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى رُؤُوسِنَا وَنَحْنُ فِي الْغَارِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ أَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ! فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِأَنْتَ وَاللَّهُ تَالِثُهُمَا»^١.

أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَعْلَمُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: «خَطَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَيْرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ. فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: مَا يُبْكِي هَذَا الشَّيْخَ؟ إِنْ يَكُنِ اللَّهُ خَيْرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَ اللَّهِ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْعَبْدُ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا، قَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، لَا تَبْكُ، إِنَّ أَمْرَ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا مِنْ أُمَّتِي، لَا تَتَّخِذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُحْوَةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتُهُ، لَا يَبْقَيْنَ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ، إِلَّا بَابُ أَبِي بَكْرٍ»^٢.

أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

عَنْ أَبِي عُمَرَ قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ رضي الله عنه: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَهُ عَلَى جَيْشِ ذَاتِ السَّلَاسِلِ، فَأَتَيْتُهُ فَقُلْتُ: أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: عَائِشَةُ فَقُلْتُ: مِنْ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: أَبُوهَا قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَعَدَّ رِجَالًا»^٣.

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ أَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ آخِذًا بِطَرَفِ ثَوْبِهِ، حَتَّى أَبْدَى عَنْ رُكْبَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَّا صَاحِبُكُمْ فَقَدْ غَامَرَ». فَسَلَّمَ وَقَالَ: إِنِّي كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنِ الْخَطَّابِ شَيْءٌ، فَأَسْرَعْتُ إِلَيْهِ ثُمَّ نَدِمْتُ، فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَغْفِرَ لِي فَأَبَى

١ - رواه مسلم - كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، حديث رقم:

٢٣٨١

٢ - تقدم تخریجه

٣ - رواه البخاري - كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، بَابُ، حديث رقم: ٣٦٦٢، ومسلم - كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ،

بَابُ: مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه، حديث رقم: ٢٣٨٤

عَلَيَّ، فَأَقْبَلْتُ إِلَيْكَ، فَقَالَ: «يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ». ثَلَاثًا، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ نَدِمَ فَأَتَى مَنْزِلَ أَبِي بَكْرٍ، فَسَأَلَ: أَتَمَّ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالُوا: لَا، فَأَتَى إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَلَّمَ، فَجَعَلَ وَجْهُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَمَعَّرُ، حَتَّى أَشْفَقَ أَبُو بَكْرٍ، فَجَنَّا عَلَى رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاللَّهِ أَنَا كُنْتُ أَظْلَمَ، مَرَّتَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ. وَوَأَسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي». مَرَّتَيْنِ، فَمَا أُودِيَ بَعْدَهَا.^١

أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَرْحَمُ النَّاسِ بِالْأُمَّةِ بَعْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَفَرُّهُمْ أَبِي بَكْرٍ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ وَأَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ».^٢

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ «صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ فَقَالَ: بَيْنَا رَجُلٌ يَسُوقُ بَقْرَةً إِذْ رَكِبَهَا فَضَرَبَهَا فَقَالَتْ إِنَّا لَمْ نُخْلَقْ لِهَذَا إِنَّمَا خُلِقْنَا لِلْحَرْثِ فَقَالَ النَّاسُ سُبْحَانَ اللَّهِ بَقْرَةٌ تَكَلَّمُ فَقَالَ فَإِنِّي أَوْمِنُ بِهَذَا أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَمَا هُمَا ثُمَّ وَبَيْنَمَا رَجُلٌ فِي غَنَمِهِ إِذْ عَدَا الذِّئْبُ فَذَهَبَ مِنْهَا بِشَاةٍ فَطَلَبَ حَتَّى كَانَتْهُ اسْتَنْقَذَهَا مِنْهُ فَقَالَ لَهُ الذِّئْبُ هَذَا اسْتَنْقَذَهَا مِنِّي فَمَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبْعِ يَوْمَ لَا رَاعِيَ لَهَا غَيْرِي فَقَالَ النَّاسُ سُبْحَانَ اللَّهِ ذِئْبٌ يَتَكَلَّمُ قَالَ فَإِنِّي أَوْمِنُ بِهَذَا أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَمَا هُمَا ثُمَّ».^٣

١ - رواه البخاري- كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ، بَابُ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٣٦٦١

٢ - رواه أحمد- حَدِيثٌ رَقْمٌ: ١٢٩٠٤، وَالتِّرْمِذِيُّ- أَبْوَابُ الْمَنَاقِبِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَنَاقِبِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، وَزَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، وَأَبِي، وَأَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٣٧٩٠، وَابْنُ مَاجَه- الْمَقْدِمَةُ، فَضَائِلُ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ١٥٤، بِسَنَدٍ صَحِيحٍ

٣ - رواه البخاري- كِتَابُ أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ، بَابُ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٣٤٧١، وَمُسْلِم- كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٢٣٨٨

استشارة أبي بكر في استخلاف عمر رضي الله عنه:

قال ابن سعد: لَمَّا اسْتُعِزَّ بِأَبِي بَكْرٍ الصَّدِّيقِ دَعَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ عَوْفٍ فَقَالَ: أَخْبِرْنِي عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: مَا تَسْأَلُنِي عَنْ أَمْرِ إِلَّا وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَإِنْ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: هُوَ وَاللَّهِ أَفْضَلُ مِنِّي رَأْيِكَ فِيهِ، ثُمَّ دَعَا عَثْمَانَ بْنَ عَفَّانٍ فَقَالَ: أَخْبِرْنِي عَنْ عُمَرَ، فَقَالَ: أَنْتَ أَخْبَرْنَا بِهِ، فَقَالَ: عَلَى ذَلِكَ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ عَثْمَانُ: اللَّهُمَّ عَلِّمْنِي بِهِ أَنَّ سِرِّيَّتَهُ خَيْرٌ مِنْ عِلَانِيَّتِهِ وَأَنَّهُ لَيْسَ فِيْنَا مِثْلُهُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، وَاللَّهُ لَوْ تَرَكْتُهُ مَا عَدَوْتُكَ.

وَشَاوَرَ مَعَهُمَا سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ أَبَا الْأَعْوَرِ وَأُسَيْدُ بْنُ الْخَضِيرِ وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ فَقَالَ أُسَيْدٌ: اللَّهُمَّ أَعْلِمْنِي الْخَيْرَةَ بَعْدَكَ يَرْضَى لِلرَّضَى وَيَسْخَطُ لِلْسَخَطِ، الَّذِي يُسِرُّ خَيْرٌ مِنَ الَّذِي يُعْلِنُ، وَلَمْ يَلِ هَذَا الْأَمْرَ أَحَدٌ أَقْوَى عَلَيْهِ مِنْهُ. وَسَمِعَ بَعْضُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِدُخُولِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَعَثْمَانَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ وَخُلُوقِهِمَا بِهِ فَدَخَلُوا عَلَى أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ مِنْهُمْ: مَا أَنْتَ قَائِلٌ لِرَبِّكَ إِذَا سَأَلَكَ عَنْ اسْتِخْلَافِكَ عُمَرَ عَلَيْنَا وَقَدْ تَرَى غِلْظَتَهُ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَجْلِسُونِي، أَبَا اللَّهِ تُخَوِّفُونِي؟ خَابَ مَنْ تَزَوَّدَ مِنْ أَمْرِكُمْ بِظُلْمٍ، أَقُولُ اللَّهُمَّ اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْهِمْ خَيْرَ أَهْلِكَ، أَبْلَغُ مَا قُلْتُ لَكَ مَنْ وَرَاءَكَ.

ثُمَّ اضْطَجَعَ وَدَعَا عَثْمَانَ بْنَ عَفَّانٍ فَقَالَ: أَكْتُبُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، هَذَا مَا عَهْدَ أَبِي بَكْرٍ بِنَ أَبِي قُحَافَةَ فِي آخِرِ عَهْدِهِ بِالْدُنْيَا خَارِجًا مِنْهَا وَعِنْدَ أَوَّلِ عَهْدِهِ بِالْآخِرَةِ دَاخِلًا فِيهَا حَيْثُ يُؤْمِنُ الْكَافِرُ وَيُوقِنُ الْفَاجِرُ وَيَصْدُقُ الْكَاذِبُ، إِنِّي اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي عُمَرَ بْنُ الْخَطَّابِ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا، وَإِنِّي لَمْ أَلِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَدِينَهُ وَنَفْسِي وَإِيَّاكُمْ إِلَّا خَيْرًا، فَإِنْ عَدَلَ فَذَلِكَ ظَنِّي بِهِ وَعِلْمِي فِيهِ، وَإِنْ بَدَّلَ فَلِكُلِّ أَمْرٍ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ، وَالْخَيْرُ أَرَدْتُ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ. ثُمَّ أَمَرَ بِالْكِتَابِ فَخَتَمَهُ.^١

وفاته:

عن عائشة قالت: لما ثقل أبو بكر قال: أيّ يوم هذا؟ قالت: قلنا يوم الاثنين، قال: فأَيّ يوم قُبِضَ رسولُ الله، صلى الله عليه وسلم؟ قالت: قلنا قُبِضَ يومَ الاثنين، قال: فإني أرجو ما بيني وبينَ الليل. قالت وكان عليه ثوب فيه رَدْعٌ من مِشْقٍ فقال: إذا أنا مِتَّ فاغسلوا ثوبي هذا وضمّوا إليه ثوبين جديدين وكفّنوني في ثلاثة أثواب، فقلنا: ألا نَجْعَلُها جُدُدًا كُلّها؟ قال فقال: لا، إنّما هو للمُهَلَّةِ، الحَيِّ أَحَقُّ بالجديد من المَيّت. قالت فمات ليلة الثلاثاء، رحمه الله.^١

عن عائشة قالوا: كان أوّلُ بَدءٍ مرض أبي بكر أنّه اغتسل يوم الاثنين لسبع خلون من جمادى الآخرة، وكان يومًا باردًا، فحُمَّ خمسة عشر يومًا لا يخرج إلى صلاة، وكان يأمر عمر بن الخطاب يصلي بالنّاس، ويَدْخُلُ النّاس عليه يعودونه وهو يثقل كل يوم وهو نازل يومئذ في داره التي قطع له النّبيّ، صلى الله عليه وسلم، وجاء دار عثمان بن عفّان اليوم، وكان عثمان ألزَمَهُم له في مرضه، وتوفى أبو بكر، رحمه الله، مساء ليلة الثلاثاء لثمانٍ ليالٍ بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من مُهاجرِ النّبيّ، صلى الله عليه وسلم، فكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليالٍ، وكان أبو معشر يقول سنتين وأربعة أشهر إلّا أربع ليالٍ، وتوفى، رحمه الله، وهو ابن ثلاثٍ وستين سنة.^٢

١ - الطبقات الكبير (٣ / ١٨٤)

٢ - الطبقات الكبير (٣ / ١٨٥)

قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصَّدِيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنِّي مُوصِيكَ بِوَصِيَّةٍ إِنْ حَفِظْتَهَا».

حَدُّ الْوَصِيَّةِ:

الوصية في اللغة: العهد إلى الغير، أو الأمر.

ومنه قول الله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ﴾ [النساء: ١١]، وقال: ﴿مَنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى

بِهَا﴾^١.

قال الصَّلَتَانِ الْعَبْدِي:

أَلَمْ تَرِ لُقْمَانَ أَوْصَى بَنِيهِ ***** وَأَوْصَيْتُ عَمْرًا وَنَعَمَ الْوَصِي
وقال النَّمْرِيُّ:

بِذَلِكَ أَوْصَانِي أَبِي وَمِثْلِهِ ***** كَذَلِكَ أَوْصَاهُ قَدِيمًا أَوَائِلُهُ
وقال الأزهري: وَسُمِّيَتِ الْوَصِيَّةُ وَصِيَّةً، لِأَنَّ الْمَيِّتَ لَمَّا وَصَّى بِهَا، وَصَلَ مَا كَانَ فِيهِ مِنْ أَيَّامِ حَيَاتِهِ بِمَا
بَعْدَهُ مِنْ أَيَّامِ مَمَاتِهِ.

قال ذو الرُّمَّة:

نَصِي اللَّيْلِ بِالْأَيَّامِ حَتَّى صَلَاتُنَا ***** مُقَاسِمَةٌ يَشْتَقُّ أَنْصَافَهَا السَّفَرُ
أي نصل الليل بالأيام^٢.

هذه وصية تكتب بماء الذهب وهي وإن كانت موجهة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، فإن كل واحد منا في غاية الاحتياج إليها وإلى أمثالها من الوصايا، وستكلم إن شاء الله تعالى عن شيء من

١ - سورة النساء: الآية/ ١٢

٢ - الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي (ص: ١٨١)

الفوائد التي في هذه الوصية العظيمة التي أوصى بها أبو بكر الصديق رضي الله عنه، عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

الفائدة الأولى: لا غنى لأحد عن الوصية.

أول فوائد هذه الوصية العظيمة: أنه لا غنى لأحد عن الوصية أن يُوصى بخير يعمله أو يُوصى بترك شرٍ يقع فيه.

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه وإن قال عنه رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ»^١.

ولقبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالفاروق؛ لأن الله فرق به بين الحق والباطل.

وَقَالَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِقَدَحِ لَبَنٍ، فَشَرِبْتُ مِنْهُ، ثُمَّ أُعْطِيتُ فَضْلِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ. قَالُوا: فَمَا أَوْلَتْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الْعِلْمُ»^٢.

وعمر رضي الله عنه كان موفور الدين؛ كما قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ وَعَلَيْهِمْ قُمْصٌ، مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدْيَ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذَلِكَ، وَمَرَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجْرُهُ، قَالُوا: مَاذَا أَوْلَتْ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الدِّينُ»^٣.

ومع ذلك يوصيه أبو بكر رضي الله عنه؛ لأنه لا غنى لأحد عن الوصية.

١ - تقدم تحريجه

٢ - رواه البخاري- كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي رضي الله عنه، حديث رقم:

٣٦٨١، ومسلم- كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: من فضائل عمر رضي الله تعالى عنه، حديث رقم: ٢٣٩١

٣ - رواه البخاري- كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال، حديث رقم: ٢٣، ومسلم- كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب: من فضائل عمر رضي الله تعالى عنه، حديث رقم: ٢٣٩٠

الفائدة الثانية: أهمية الوصية وحاجة الناس إليها.

الوصية منهج القرآن لما لها من وقع عظيم في النفوس، وخفة على القلوب؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ﴾^١.

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^٢.

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾^٣.

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾^٤.

وقال تعالى: ﴿وَصِيَّةٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾^٥.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^٦.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا

١ - سورة النساء: الآية/ ١٣١

٢ - سورة العنكبوت: الآية/ ٨

٣ - سورة الأحقاف: الآية/ ١٥

٤ - سورة لقمان: الآية/ ١٤

٥ - سورة النساء: الآية/ ١٢

٦ - سورة الأنعام: الآية/ ١٥٢

وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (١٥٢) وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»^١.

والوصية من هدي النبي صلى الله عليه وسلم؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «أَوْصَانِي خَلِيلِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِثَلَاثٍ: صِيَامٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرُكْعَتَيِ الضُّحَى، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنَامَ»^٢.
وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، ثُمَّ انْظُرْ أَهْلَ بَيْتٍ مِنْ حَيْرَانِكَ فَأَعْرِفْ هُمُ مِنْهَا»^٣.

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: أَوْصَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتِسْعٍ: «لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا؛ وَإِنْ قُطِعَتْ أَوْ حُرِقَتْ، وَلَا تَتَزَكَّنِ الصَّلَاةَ الْمَكْتُوبَةَ مُتَعَمِّدًا، وَمَنْ تَرَكَهَا مُتَعَمِّدًا بَرِثَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ، وَلَا تَشْرَبَنَّ الْخَمْرَ، فَإِنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ شَرٍّ، وَأَطِعِ وَالِدَيْكَ، وَإِنْ أَمَرَكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ دُنْيَاكَ فَأَخْرِجْ هُمَا، وَلَا تُنَازِعَنَّ وِلَاةَ الْأَمْرِ وَإِنْ رَأَيْتَ أَنَّكَ أَنْتَ، وَلَا تَفْرُزْ مِنَ الرَّحْفِ، وَإِنْ هَلَكَتْ وَفَرَّ أَصْحَابُكَ، وَأَنْفَقَ مِنْ طَوْلِكَ عَلَى أَهْلِكَ، وَلَا تَرْفَعْ عَصَاكَ عَنْ أَهْلِكَ، وَأَخْفَهُمْ فِي اللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ»^٤.

وهي واجب على كل مسلم نحو أخيه المسلم، يجب عليك أن تبذل الوصية لمن حولك من الناس عامة، ثم لمن حولك من المسلمين، ثم لأقاربك وأهل بيتك، وهذا أمر كان النبي صلى الله عليه وسلم يبايع عليه أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين روى البخاري ومسلم في صحيحيهما؛ فعَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي

١ - سورة الأنعام: الآية/ ١٥١-١٥٣

٢ - رواه البخاري- كِتَابُ الصَّوْمِ، بَابُ صِيَامِ أَيَّامِ الْبَيْضِ ثَلَاثَ عَشْرَةٍ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ وَخَمْسَ عَشْرَةَ، حَيْثُ رَقْمٌ: ١٩٨١، ومسلم- كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرُهَا، بَابُ اسْتِخْبَابِ صَلَاةِ الضُّحَى، وَأَنَّ أَقَلَّهَا رُكْعَتَانِ، وَأَكْمَلُهَا ثَمَانِ رُكْعَاتٍ، وَأَوْسَطُهَا أَرْبَعُ رُكْعَاتٍ أَوْ سِتٌّ. وَالْحَثُّ عَلَى الْمُحَافَظَةِ عَلَيْهَا، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٧٢١

٣ - رواه مسلم- كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَةِ وَالْأَدَابِ، بَابُ الْوَصِيَّةِ بِالْجَارِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٢٦٢٥، والدارمي- ومن كتاب الصيد، بَابُ فِي إِكْثَارِ الْمَاءِ فِي الْقَدْرِ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٢١٠٠، واللفظ له

٤ - رواه البخاري في الأدب المفرد- بَابُ يَبْرُ وَالِدَيْهِ مَا لَمْ يَكُنْ مَعْصِيَةً، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ١٨، بسند حسن

حازم: سَمِعْتُ جَرِيرًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «بَايَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ»^١.

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: حَظَبْنَا عُمَرَ بِالْجَابِيَةِ فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قُتِلْتُ فِيكُمْ كَمَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِينَا فَقَالَ: «أَوْصِيكُمْ بِأَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يُلَوِّهُمُ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلَوِّهُمُ، ثُمَّ يَمْشُوا الْكَذِبَ حَتَّى يَخْلِفَ الرَّجُلُ وَلَا يُسْتَحْلَفُ، وَيَشْهَدَ الشَّاهِدُ وَلَا يُسْتَشْهَدُ، أَلَا لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِأَمْرَةٍ إِلَّا كَانَ ثَالِثَهُمَا الشَّيْطَانُ، عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الْإِثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ مُجْبُوحَةَ الْجَنَّةِ فَلْيَلْزِمُ الْجَمَاعَةَ، مَنْ سَرَّتْهُ حَسَنَتُهُ وَسَاءَتْهُ سَيِّئَتُهُ فَذَلِكَ الْمُؤْمِنُ»^٢.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «مَرَّ أَبُو بَكْرٍ وَالْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِمَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الْأَنْصَارِ وَهُمْ يَبْكُونَ، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكُمْ؟ قَالُوا: ذَكَرْنَا مَجْلِسَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِتًّا، فَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ، قَالَ: فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ عَصَبَ عَلَى رَأْسِهِ حَاشِيَةً بُرْدٍ، قَالَ: فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ، وَلَمْ يَصْعُدْهُ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمَ، فَحَمِدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَوْصِيكُمْ بِالْأَنْصَارِ، فَإِنَّهُمْ كَرِشِي وَعَيْبَتِي، وَقَدْ قَضُوا الَّذِي عَلَيْهِمْ وَبَقِيَ الَّذِي لَهُمْ، فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ»^٣.

وَعَنْ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ: «وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا بَعْدَ صَلَاةِ الْعِدَاةِ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ وَوَحَلَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةٌ مُودِعٍ، فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا

١ - رواه البخاري- كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم الذين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم وقوله تعالى: ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، حديث رقم: ٥٧، ومسلم- كتاب الإيمان، باب بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأن محبة المؤمنين من الإيمان وأن إفشاء السلام سبب لحصولها، حديث رقم: ٥٦

٢ - رواه الترمذي- أبواب الفتن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في لزوم الجماعة، حديث رقم: ٢١٦٥، بسند صحيح

٣ - رواه البخاري- كتاب مناقب الأنصار، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم اقبلوا من محسنهم وتجاوزوا عن مسيئتهم، حديث رقم: ٣٧٩٩

يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَصُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ»^١.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوْصِيكُمْ بِثَلَاثٍ: أَخْرِجُوا الْمُشْرِكِينَ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَأَجِيزُوا الْوَفْدَ بِنَحْوِ مَا كُنْتُمْ أَجِيزُهُمْ. قَالَ: وَسَكَتَ عَنِ الثَّالِثَةِ، أَوْ قَالَهَا فَأَنْسِيَتْهَا»^٢.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ» وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرْضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ»^٣.

مِنْ وَصَايَا الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:

وصية إبراهيم ويعقوب عليهما السلام لأبنائهم:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ (١٣٢) أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^٤.

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٧١٤٥، أبو داود - كتاب السنّة، باب في لزوم السنّة، حديث رقم: ٤٦٠٧، والترمذي - أبواب العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنّة واجتناب البدع، حديث رقم: ٢٦٧٦، والدارمي - المقدمة، باب اتباع السنّة، حديث رقم: ٩٦، وابن ماجه - أبواب السنّة، باب اتباع سنّة الخلفاء الراشدين المهديين، حديث رقم: ٤٢

٢ - رواه البخاري - كتاب المغازي، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته، وقول الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤٣١﴾، حديث رقم: ٤٤٣١، ومسلم - كتاب الوصية، باب ترك الوصية لمن ليس له شيء يؤصي فيه، حديث رقم: ١٦٣٧

٣ - رواه البخاري - كتاب الرقاق، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ، حديث رقم:

وَصِيَّةُ لُقْمَانَ الْحَكِيمِ لِابْنِهِ:

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ (١٣) وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ (١٤) وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥) يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَزْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَحْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦) يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (١٧) وَلَا تُصْعِرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (١٨) وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْصِضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ١.﴾

وَصِيَّةُ نُوْحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِابْنِهِ:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ عَلَيْهِ جُبَّةٌ سِيحَانٍ، حَتَّى قَامَ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنَّ صَاحِبَكُمْ قَدْ وَضَعَ كُلَّ فَارِسٍ - أَوْ قَالَ: يُرِيدُ أَنْ يَضَعَ كُلَّ فَارِسٍ - وَيَرْفَعُ كُلَّ رَاعٍ، فَأَخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَجَامِعِ جُبَّتِهِ فَقَالَ: «أَلَا أَرَى عَلَيْكَ لِبَاسَ مَنْ لَا يَعْقِلُ»، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ نُوحًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ، أَمْرُكَ بِاثْنَتَيْنِ، وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ: أَمْرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ، لَوْ وَضِعْنَ فِي كِفَّةٍ وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ لَرَجَحَتْ بِهِنَّ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ كُنَّ حَلَقَةً مُبْهَمَةً لَقَصَمْتَهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فَإِنَّهَا صَلَاةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَهِيَ يُرَزَقُ كُلُّ شَيْءٍ، وَأَنْهَاكَ عَنِ الشِّرْكِ وَالْكِبْرِ»، فَقُلْتُ، أَوْ قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا الشِّرْكَ قَدْ عَرَفْنَاهُ، فَمَا الْكِبْرُ؟ هُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا حُلَّةٌ يَلْبَسُهَا؟ قَالَ: «لَا»، قَالَ: فَهُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا نَعْلَانِ حَسَنَتَانِ، لَهُمَا شِرَاكَانِ حَسَنَانِ؟ قَالَ: «لَا»، قَالَ:

فَهُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا دَابَّةً يَرْكَبُهَا؟ قَالَ: «لَا»، قَالَ: فَهُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا أَصْحَابٌ يَجْلِسُونَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: «لَا»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا الْكِبَرُ؟ قَالَ: «سَفَهُ الْحَقِّ، وَغَمَصُ النَّاسِ».^١

مِنْ وَصَايَا السَّلَفِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ:

وَصِيَّةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَابْنِهِ:

عَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ: فَلَقِيتُ الْوَلِيدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصَّامِتِ، صَاحِبَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلْتُهُ: مَا كَانَتْ وَصِيَّةُ أَبِيكَ عِنْدَ الْمَوْتِ؟ قَالَ: دَعَانِي أَبِي فَقَالَ لِي: يَا بُنَيَّ، اتَّقِ اللَّهَ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ لَنْ تَتَّقِيَ اللَّهَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ كُلِّهِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ، فَإِنْ مِتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا دَخَلْتَ النَّارَ، إِيَّيَّ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ: اكْتُبْ، فَقَالَ: مَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبِ الْقَدَرَ مَا كَانَ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى الْأَبَدِ».^٢

وَصِيَّةُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لِيَزِيدَ بْنِ الْأَصَمِّ:

عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْأَصَمِّ بْنِ أُحْتِ مَيْمُونَةَ، قَالَ: تَلَقَّيْتُ عَائِشَةَ وَهِيَ مُقْبِلَةٌ مِنْ مَكَّةَ أَنَا وَابْنُ لِطْلَحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ - وَهُوَ ابْنُ أُحْتِهَا - وَقَدْ كُنَّا وَقَعْنَا فِي حَائِطٍ مِنْ حِيطَانِ الْمَدِينَةِ، فَأَصَبْنَا مِنْهُ، فَبَلَغَهَا ذَلِكَ، فَأَقْبَلَتْ عَلَيَّ ابْنِ أُحْتِهَا تَلُومُهُ وَتُعْذِلُهُ، وَأَقْبَلْتُ عَلَيَّ فَوَعِظْتَنِي مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ثُمَّ قَالَتْ: "أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَافَكَ حَتَّى جَعَلَكَ فِي أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِ، ذَهَبَتْ وَاللَّهُ مَيْمُونَةٌ، وَرُمِيَ بِرَسْنِكَ عَلَى غَارِبِكَ، أَمَا إِذَا كَانَتْ مِنْ أَتَقَانَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَوْصَلْنَا لِلرَّحِمِ".^٣

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ٦٥٨٣، والبخاري في الأدب المفرد - باب الْكِبَرِ، حديث رقم: ٥٤٨، والحاكم في المستدرک - کتابُ الْإِيمَانِ، حديث رقم: ١٥٥، بسند صحيح

٢ - رواه الترمذی - أَبْوَابُ الْقَدَرِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِابٍ، حديث رقم: ٢١٥٥، وأبو داود الطيالسي - حديث رقم: ٥٧٨، بسند صحيح

٣ - رواه الحاكم في المستدرک - کتابُ: مَعْرِفَةُ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ذِكْرُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، حديث رقم: ٧٠٠٦

وَصِيَّةُ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ لِرَجُلٍ جَاءَ يُسَلِّمُ عَلَيْهِ:

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ، قَالَ: أَتَى رَجُلٌ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ، وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ وَيُودِّعُونَهُ، فَقَالَ: "إِنِّي مُوصِيكَ بِأَمْرَيْنِ إِنْ حَفِظْتَهُمَا حُفِظْتَ: إِنَّهُ لَا غِنَى بِكَ عَنْ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا، وَأَنْتَ إِلَى نَصِيكَ مِنَ الْآخِرَةِ أَفْقَرُ، فَأَثِرْ نَصِيكَ مِنَ الْآخِرَةِ عَلَى نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى تَنْتَظِمَهُ لَكَ انْتِظَامًا فَتَزُولَ بِهِ مَعَكَ أَيْنَمَا زُلْتَ".^١

وَصِيَّةُ صَيْفِيِّ بْنِ رَبَاحِ التَّمِيمِيِّ لِبَنِيهِ:

عَنْ شَرْقِيٍّ بْنِ الْقُطَامِيِّ، قَالَ: قَالَ صَيْفِيُّ بْنُ رَبَاحٍ التَّمِيمِيُّ لِبَنِيهِ: يَا بَنِيَّ اعْلَمُوا أَنَّ أَسْرَعَ الْجُرْمِ عُقُوبَةٌ الْبَغْيِ، وَشَرُّ النُّصْرَةِ التَّعَدِّي، وَالْأَلَمُ الْأَخْلَاقِ الضَّيِّقُ، وَأَسْوَأُ الْأَدَبِ كَثْرَةُ الْعِتَابِ.^٢

نصيحة مسعر بن كدام لولده:

قال مسعر بن كدام:^٣

أَكِدَامُ إِنِّي قَدْ مَحَضْتُ نَصِيحَتِي	*****	فَاسْمَعْ لِقَوْلِ أَبِي عَلِيكَ شَفِيقِ
أَمَّا الْمُرَاحَةُ وَالْمِرَاءُ فَدَعُهُمَا	*****	خُلُقَانٍ لَا أَرْضَاهُمَا لِصَدِيقِ
إِنِّي بَلَوْتُهُمَا فَلَمْ أَحْمِذْهُمَا	*****	لِمُجَاوِرٍ جَارٍ وَلَا لِرَفِيقِ

١ - رواه الطبراني في الكبير - حديث رقم: ٤٩، وابن أبي شيبة في مصنفه - حديث رقم: ٣٤٦٩٥

٢ - رواه ابن أبي الدنيا في ذم البغي - حديث رقم: ٢٥

٣ - حماسة البحتري (ص: ٤٩٠)

النصيحة حق المسلم على المسلم:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ»، قِيلَ: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: «إِذَا لَقِيتُهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللَّهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدُّهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاصْحَبْهُ»^١.

وقال الحسن: إِنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ حَقَّ نصيحتك لأخيك حتى تأمره بما تَعَجُّزُ عنه.

قال ابن رجب: قال الحسن: وقال بعض أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: والذي نفسي بيده إِنَّ شَتْمَ لَأَقْسَمَنَّ لَكُمْ بِاللَّهِ إِنَّ أَحَبَّ عِبَادِ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ اللَّهَ إِلَى عِبَادِهِ وَيُحِبُّونَ عِبَادَ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ بِالنَّصِيحَةِ.

وقال فرقد السَّبَخِيُّ: قرأتُ في بعض الكتب: المحبُّ لله عز وجل أميرٌ مُؤَمَّرٌ على الأمراء، زمرته أوَّلُ الزمر يومَ القيامة، ومجلسه أقربُ المجالس فيما هناك والمحبةُ منتهى القربة والاجتهاد، ولن يسأَمَ المحبون من طول اجتهادهم لله عز وجل، يُحِبُّونَهُ وَيُحِبُّونَ ذَكَرَهُ، وَيُحِبُّونَهُ إِلَى خَلْقِهِ، يَمْشُونَ بَيْنَ عِبَادِهِ بِالنَّصَائِحِ، وَيَخَافُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ يَوْمَ تَبْدُو الْفَضَائِحُ، أَوْلَئِكَ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ وَأَحَبَّاءُوهُ وَأَهْلُ صِفَوْتِهِ، أَوْلَئِكَ الَّذِينَ لَا رَاحَةَ لَهُمْ دُونَ لِقَائِهِ.

وقال ابنُ عُكَيْيَةَ فِي قول أبي بكر المزني: ما فاق أبو بكر رضي الله عنه أصحاب رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم بصومٍ ولا صلاةٍ، ولكن بشيء كان في قلبه، قال: الذي كان في قلبه الحبُّ لله عز وجل، والنصيحة في خلقه.

وقال الفضيل بن عياض: ما أدركَ عندنا مَنْ أدركَ بكثرة الصلاة والصيام، وإنما أدركَ عندنا بسخاءِ الأنفس، وسلامةِ الصدور، والنصح للأمة.

وسئل ابنُ المبارك: أَيُّ الأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قال: النصحُ لله.

١ - رواه البخاري في الأدب المفرد - باب حق المسلم على المسلم أن يسلم عليه إذا لقيه، حديث رقم: ٩٩١، بسند صحيح

وقال معمر: كان يقال: أنصحُ الناسَ لك مَنْ خاف الله فيك.^١

لذلك إذا نصحك إنسان إياك أن يتمعر وجهك، إياك أن تغضب، إياك أن تأنف، إياك أن تتولى وتستكبر، يجب عليك أن تقبل النصح ممن جاءك به، حتى لو جاءك النصح من كافر.

منزلة عمر رضي الله عنه عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

كان لعمر بن الخطاب سابقة في الإسلام، ومنزلة عظيمة في قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فهو الوزير الثاني لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقدم في ترجمته شيء من مناقبه رضي الله عنه؛ وكان عمر رضي الله عنه أحبَّ الناس إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ فقد روى البخاري في الأدب المفرد بسند صحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت: قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه يَوْمًا: "وَاللَّهِ مَا عَلَيَّ وَجْهِ الْأَرْضِ رَجُلٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عُمَرَ، فَلَمَّا حَرَجَ رَجَعَ فَقَالَ: كَيْفَ حَلَفْتُ أَيُّ بُنِيَّةٍ؟ فَقُلْتُ لَهُ، فَقَالَ: أَعَزُّ عَلَيَّ، وَالْوَلَدُ أَلْوَطُ".^٢

ومعنى قوله رضي الله عنه: "وَالْوَلَدُ أَلْوَطُ"، يعني: ألصق، أي: الولد ألصق لقلب أبيه من غيره.

ولما كانت لعمر رضي الله عنه تلك المنزلة العظيمة في قلب أبي بكر الصديق رضي الله عنه خصه بتلك الوصية العظيمة.

قال أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنِّي مُوصِيكَ بِوَصِيَّةٍ إِنْ حَفِظْتَهَا».

من فوائد هذه الوصية وما أكثر ما فيها من فوائد:

- قيمة الوصية إذا أتت من إنسان له دينٌ وافرٌ وعقلٌ راجحٌ:

أبو بكر رضي الله عنه، خير الناس بعد الأنبياء عليهم السلام، والوزير الأول لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وكلامه خارج من مشكاة النبوة لطول ملازمته لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولقربه من

١ - جامع العلوم والحكم (ص: ٢٠٣)

٢ - رواه البخاري في الأدب المفرد- بَابُ الْوَلَدِ مَبْخَلَةً مَحْبَنَةً، حديث رقم: ٨٤، بسند حسن

رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يشبهه كلامهم كلام النبي صلى الله عليه وسلم، لطول ملازمة هذا الصحابي للنبي صلى الله عليه وسلم فإذا تكلم بكلام يتوهم بعض الناس أنه حديث من أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم، لشبهه بكلام النبي صلى الله عليه وسلم؛ ففي عام الحديبية لما راجع عمر بن الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في بنود الصلح، لأنه رآها محقة بالمسلمين، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا». فذهب عمر لأبي بكر رضي الله عنه يراجع فقال له أبو بكر رضي الله عنه: «يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللَّهُ أَبَدًا»، وذلك لطول ملازمته للرسول صلى الله عليه وسلم؛ وشدة تأثره به صلى الله عليه وسلم؛ فعن أبي وائل قال: «قَامَ سَهْلُ بْنُ حَنِيفٍ يَوْمَ صِفِّينَ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّهَمُوا أَنْفُسَكُمْ، لَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ الْحُدَيْبِيَّةِ، وَلَوْ نَرَى قِتَالًا لَقَاتَلْنَا. وَذَلِكَ فِي الصُّلْحِ الَّذِي كَانَ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَبَيْنَ الْمُشْرِكِينَ، فَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: أَلَيْسَ قِتَالُنَا فِي الْجَنَّةِ وَقِتَالُهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: فَفِيمَ نُعْطِي الدِّيَّةَ فِي دِينِنَا وَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَنِي اللَّهُ أَبَدًا. قَالَ: فَانْطَلَقَ عُمَرُ فَلَمْ يَصْبِرْ مُتَعِظًا، فَأَتَى أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، أَلَسْنَا عَلَى حَقٍّ وَهُمْ عَلَى بَاطِلٍ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: أَلَيْسَ قِتَالُنَا فِي الْجَنَّةِ وَقِتَالُهُمْ فِي النَّارِ؟ قَالَ: بَلَى. قَالَ: فَعَلَامَ نُعْطِي الدِّيَّةَ فِي دِينِنَا وَنَرْجِعُ وَلَمَّا يَحْكُمِ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؟ فَقَالَ: يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، إِنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَلَنْ يُضَيِّعَهُ اللَّهُ أَبَدًا. قَالَ: فَنَزَلَ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِالْفَتْحِ، فَأَرْسَلَ إِلَى عُمَرَ فَأَقْرَأَهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْ فَتَحَ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَطَابَتْ نَفْسُهُ وَرَجَعَ»^١.

١ - رواه البخاري - كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، حديث رقم: ٢٧٣١،

ومسلم - كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية، حديث رقم: ١٧٨٥

وأبو بكر رضي الله عنه أرجح الناس عقلاً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأعظمهم ديانة، وأكرمهم أخلاقاً، فإذا وصَّى فإن وصيته تكتب بماء الذهب، ويُعَضُّ عليها بالنواجذ، وليس كل إنسان عاقل سيوصيك. وربما تنقضي حياتك، ولم يوصك إنسان عاقل بوصية؛ كما قيل:

وَمَا كُلُّ ذِي لُبٍّ بِمُؤْتِيكَ نُصْحَهُ ***** وَمَا كُلُّ مُؤْتٍ نُصْحَهُ بِلَيْبٍ

ليس كل إنسان عاقل سينصحك وليس كل من ينصحك عاقل، فإذا أتت الوصية من مثل أبي بكر رضي الله عنه يجب عليك أن تبادر لامثال ما فيها من الفوائد، كذلك يجب العمل بالوصية إذا كانت في مرضات الله سبحانه وتعالى، وقد يخسر الإنسان دينه إذا فرط في بعض الوصايا.

الأمر في غاية الأهمية قد يُوصَى إنسانٌ ببعض الوصايا فيحمله الكبر على عدم قبولها؛ كهذا الذي أكل مع النبي صلى الله عليه وسلم بشماله وأبى أن يطيعه حين أمره بالأكل باليمين؛ فعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الْأَكْوَعِ رضي الله عنه: «أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشِمَالِهِ فَقَالَ: كُلْ يَمِينِكَ. قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ. قَالَ: لَا اسْتَطَعْتَ. مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبَرُ. قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ»^١.

وهذا الذي رآه النبي صلى الله عليه وسلم وقد غضب غضباً شديداً جداً حتى احمرَّ وجهه وانتفخت أوداجه - عروق رقبته - فلما نصحه النبي صلى الله عليه وسلم، أبى أن يأخذ بنصيحته؛ فعَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ: حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ صُرَدٍ قَالَ: «اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَخَنُ عِنْدَهُ جُلُوسٌ وَأَحَدُهُمَا يَسُبُّ صَاحِبَهُ مُغَضَّبًا قَدِ احْمَرَّ وَجْهُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنِّي لَا أَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، فَقَالُوا لِلرَّجُلِ: أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: إِنِّي لَسْتُ بِمَجْنُونٍ»^٢.

بلغ به الغضب مبلغاً عظيماً، وتملكه حتى جعله يأبى قبول وصية النبي صلى الله عليه وسلم، ولما دُكِّرَ لم يتذكر، ولما وُعِظَ لم يتعظ، ولما نُصِحَ لم ينتصح.

١ - رواه مسلم - كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب وأحكامهما، حديث رقم: ٢٠٢١

٢ - رواه البخاري - كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، حديث رقم: ٦١١٥

من فوائد هذه الوصية العظيمة أن النصح يجب أن يكون سرًّا بينك وبين مَنْ تنصحه، وإياك أن تنصح أحدًا ملأ من الناس؛ لأنَّه غالبًا سيحملة الكبر على عدم قبول نصيحتك، وحينئذٍ لن تكون نصيحة بل ستكون فضيحة؛ قال الشافعي:

تَعَمَّدَنِي بِنُصْحِكَ فِي إِنْفِرَادِي ***** وَجَنَّبَنِي النَّصِيحَةَ فِي الْجَمَاعَةِ

فَإِنَّ النُّصْحَ بَيْنَ النَّاسِ نَوْعٌ ***** مِنْ التَّوْبِيخِ لَا أَرْضَى إِسْتِمَاعَهُ

وَإِنْ خَالَفْتَنِي وَعَصَيْتَ قَوْلِي ***** فَلَا بُجْزَعَ إِذَا لَمْ تُعْطَ طَاعَهُ

وقال الفضيل بن عياض: المؤمن يستر ويعظ وينصح، والفاجر يهتك ويعير ويفشي.^١

وقال الشافعي: من وعظ أخاه سرًّا فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وخانه.^٢

وإذا نصحت فلتكن نصيحتك، بصيغة المشفق المحب الرفيق، وليست بصيغة المتعالي الأمر الناهي.

وقد اجتمعت تلك الخصال في وصية أبي بكر رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه، أرسل إليه فلما أتاه وكان قريبًا منه بعيدًا عن الناس نصحه بهذه الوصية العظيمة، بلسان المحب المشفق.

قيمة وصية أبي بكر رضي الله عنه:

ما قيمة وصية أبي بكر رضي الله عنه؟

أبو بكر رضي الله عنه أقرب الناس لرسول الله صلى الله عليه وسلم، لازمه في حله وترحاله، ولم يتخلف عنه في غزواته وأسفاره، وصاحبه في الغار، والوزير الأول له، فكان عنده من العلم والفقه ما ليس عند غيره، وقد اكتسب من شمائل النبي صلى الله عليه وسلم وخلال له، ما جعل كلامه يشبه كلامه، حتى كأنه خارج من مشكاة النبوة، فليست وصيته كوصية غيره وليس نصحه كنصح غيره.

١ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - ط: السعادة (٨ / ٩٥)

٢ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء - ط: السعادة (٩ / ١٤٠)

وأبو بكر رضي الله عنه هو أول الخلفاء الراشدين، وقد أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم باتباع الخلفاء الراشدين؛ روى الإمام أحمد في مسنده وأبو داود والترمذي في سننهما بسند صحيح عن العزْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، فَوَعظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، وَجَلَسَتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: وَعَظْتَنَا مَوْعِظَةً مُودِّعٍ، فَأَعْهَدَ إِلَيْنَا بِعَهْدٍ، فَقَالَ: «عَلَيْكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، وَسَتَرُونَ مِنْ بَعْدِي اخْتِلَافًا شَدِيدًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالتَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْأُمُورَ الْمُحْدَثَاتِ، فَإِنَّ كُلَّ بَدْعَةٍ ضَالَّةٌ»^١.

وأبو بكر رضي الله عنه كان له من رجاحة العقل، ودقة الفهم، نفاذ البصيرة ما ليس عند غيره لطول مصاحبته للنبي صلى الله عليه وسلم، وقربه منه صلى الله عليه وسلم، ولا شك أن وصيته ستكون مشتملة على الخير العظيم، والنفع العميم.

لما حضرته الوفاة أرسل إلى عمر رضي الله عنه لأنه أراد أن يستخلفه من بعده فقال له: «إِنِّي مُوصِيكَ بِوَصِيَّةٍ إِنْ حَفِظْتَهَا». في الكلام حذف اختصار تقديره: إن حفظتها انتفعت بها، وكنت نعم الرجل، وكان هذا الظن بك، وكنت أهلاً لها.

«إِنَّ لِلَّهِ حَقًّا فِي اللَّيْلِ لَا يَقْبَلُهُ فِي النَّهَارِ، وَإِنَّ لِلَّهِ حَقًّا فِي النَّهَارِ لَا يَقْبَلُهُ فِي اللَّيْلِ».

هذا أول ما في هذه الوصية العظيمة من الآداب، مراعاة حق الله تعالى وترك التهاون به، والقيام به عند أول فرضه، والمبادرة إليه في وقته، امتثالاً لأمر الله تعالى، وعملاً بقول الله تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾^٢.

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٧١٤٤، وأبو داود - كتاب السنَّة، باب في لزوم السنَّة، حديث رقم: ٤٦٠٧، والترمذي - أبواب العلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنَّة واجتناب البدع، حديث رقم: ٢٦٧٦، وابن ماجه - المقدمة، باب اتباع سنَّة الخلفاء الراشدين المهديين، حديث رقم: ٤٢، بسند صحيح

٢ - سورة طه: الآية/ ٨٤

ومن أمارات العجز، ودلائل الغبن، التفريط في الطاعات وقت وجوبها، والتهاون في أدائها حتى يفوت وقتها، ومن ذلك التلوم بالإسلام وتسويق التوبة من الكفر والآثام حتى تبلغ الروح الحلقوم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (١٧) وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارًا أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾^١.

وقال تعالى عن فرعون: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَذْرَكَهُ الْعَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُوا إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠) الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾^٢.

ومما يدل على خطر التفريط في الطاعات وقت وجوبها، والتهاون في أدائها حتى يخرج وقتها؛ التهاون في أداء الصلاة المفروضة حتى يخرج وقتها؛ فعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ، مَنْ أَحْسَنَ وَضُوءَهُنَّ، وَصَلَّاهُنَّ لَوْفَتِهِنَّ، فَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وَسُجُودَهُنَّ وَخُشُوعَهُنَّ، كَانَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يَغْفَرَ لَهُ، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ، فَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ»^٣.

وعَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مُسْنِدِي ظُهُورِنَا إِلَى قِبْلَةِ مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَبْعَةُ رَهْطٍ: أَرْبَعَةٌ مِنْ مَوَالِينَا، وَثَلَاثَةٌ مِنْ عَرَبِنَا، إِذْ خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَلَاةَ الظُّهْرِ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْنَا، فَقَالَ:

١ - سورة النساء: الآية/ ١٧، ١٨

٢ - سورة يونس: الآية/ ٩٠، ٩١

٣ - رواه أحمد- حديث رقم: ٢٢٧٠٤، وأبو داود- كتاب الصلاة، باب في المحافظة على وقت الصلوات، حديث رقم: ٤٢٥، وابن ماجه- كتاب إقامة الصلاة، والسنة فيها، باب ما جاء في فرض الصلوات الخمس والمحافظة عليها، حديث رقم: ١٤٠١، وابن حبان- النوع الثاني: ألفاظ الوعد التي مرادها الأوامر باستعمال تلك الأشياء، ذكر البيان بأن الحق الذي في هذا الخبر قصد به الإيجاب.

٤٩، حديث رقم: ٤٩، والطبراني في الأوسط- حديث رقم: ٤٦٥٨، بسند صحيح

«مَا يُجْلِسُكُمْ هَاهُنَا؟». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ. قَالَ: فَأَرَمَ قَلِيلًا، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «أَتَذَرُونَ مَا يَقُولُ رَبُّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ؟». قَالَ: قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: مَنْ صَلَّى الصَّلَاةَ لَوْفَتِهَا، وَحَافِظَ عَلَيْهَا، وَلَمْ يُضَيِّعْهَا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهَا، فَلَهُ عَلَى عَهْدٍ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَمْ يُصَلِّهَا لَوْفَتِهَا، وَلَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا، وَضَيَّعَهَا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهَا، فَلَا عَهْدَ لَهُ، إِنْ شِئْتُ عَذَّبْتُهُ، وَإِنْ شِئْتُ غَفَرْتُ لَهُ».^١

قال أبو عمر ابن عبد البر: ذهبت طائفة من أهل العلم إلى أنَّ معنى حديثِ عبادة المذكور في هذا الباب، ومعنى حديثِ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ هذا: أن التضييع للصلاة الذي لا يكون معه لفاعله المسلم عند الله عهدٌ هو ألا يُقيمَ حدودها من مُراعاةٍ وقتٍ وطهارة، وتام ركوع وسُجود، ونحو ذلك، وهو مع ذلك يصلِّيها ولا يمتنع من القيام بها في وقتها وغير وقتها، إلا أنه لا يحافظُ على أوقاتها.^٢

قالوا: فأما من تركها أصلاً ولم يصلِّها فهو كافرٌ. قالوا: وترك الصلاة كفرٌ. واحتجُّوا بآثارٍ منها حديثُ أبي الزُّبَيْرِ وَأَبِي سُفْيَانَ، عَنْ جَابِرٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: «بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ». وما كان في معنى هذا من الآثارِ.

ومما يدل على خطر التفریط في الطاعات وقت وجوبها، والتهاون في أدائها حتى يخرج وقتها؛ ما ثبتَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الَّذِي تَفَوُّتُهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ، كَأَنَّمَا وَتَرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ».^٣

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٨١٣٢، بسند صحيح

٢ - التمهيد (١٥ / ٢٤٠)

٣ - رواه البخاري - كتاب مواقيت الصلاة، باب: إثم من فاتته العصر، حديث رقم: ٥٥٢، ومسلم - كتاب المساجد ومواضع

الصلاة، باب التغليظ في تفويت صلاة العصر، حديث رقم: ٦٢٦

قال ابن عبد البر: وإِنَّمَا قال، والله أعلم، في هذا الحديث: «فَكَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلُهُ»، ولم يُقُل: مات أَهْلُهُ، لأنَّ المؤتورَ يَجْتَمِعُ عليه هَمَانِ: هُمُ ذهابِ أَهْلِهِ، وهُمُ الطَّلَبُ بَثْأَرِهِ وَوُتْرِهِ. فالذي تَفُوتُهُ صلاةُ العَصْرِ، فَمُصِيبَتُهُ لو حَصَلَ وَفَهُم، كَمُصِيبَةِ هذا، والله أعلم.^١

بل إن تأخير صلاة العصر إلى وقت الكراهة مما يوجب لصاحبه الدم، والتعنيف حتى يشبه بالمنافقين الذين لا يقومون إلى الصلاة إلا كسالى، ولا يذكرون الله إلا قليلاً؛ فَعَنِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ «أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ فِي دَارِهِ بِالْبَصْرَةِ حِينَ انْصَرَفَ مِنَ الظُّهْرِ، وَدَارُهُ يَجْنُبُ الْمَسْجِدَ. فَلَمَّا دَخَلْنَا عَلَيْهِ قَالَ: أَصَلَيْتُمُ الْعَصْرَ؟ فَقُلْنَا لَهُ: إِنَّمَا انْصَرَفْنَا السَّاعَةَ مِنَ الظُّهْرِ. قَالَ: فَصَلُّوا الْعَصْرَ. فَقُمْنَا فَصَلَّيْنَا. فَلَمَّا انْصَرَفْنَا قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: تِلْكَ صَلَاةُ الْمُنَافِقِ، يَجْلِسُ يَرْقُبُ الشَّمْسَ حَتَّى إِذَا كَانَتْ بَيْنَ قَرْنَيِ الشَّيْطَانِ قَامَ فَتَنَرَهَا أَرْبَعًا لَا يَذْكُرُ اللَّهَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا».^٢

ومما يدل على خطر التفريط في الطاعات وقت وجوبها، أن تأخير زكاة الفطر عن وقت وجوبها لا يمكن تداركه ويجعلها صدقة من الصدقات، وتظل الزكاة معلقة في ذمته حتى يلقي الله تعالى؛ فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «فَرَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زَكَاةَ الْفِطْرِ طَهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّعْوِ وَالرَّفَثِ، وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ، مَنْ أَدَّاهَا قَبْلَ الصَّلَاةِ، فَهِيَ زَكَاةٌ مَقْبُولَةٌ، وَمَنْ أَدَّاهَا بَعْدَ الصَّلَاةِ، فَهِيَ صَدَقَةٌ مِنَ الصَّدَقَاتِ».^٣

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِزَكَاةِ الْفِطْرِ أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ».^٤

١ - التمهيد (٩ / ٣٢)

٢ - رواه مسلم - كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب التبكير بالعصر، حديث رقم: ٦٢٢

٣ - رواه أبو داود - كتاب الزكاة، باب زكاة الفطر، حديث رقم: ١٦٠٩، بسند حسن

٤ - رواه البخاري - كتاب الزكاة، باب الصدقة قبل العيد، حديث رقم: ١٥٠٩، ومسلم - كتاب الزكاة، باب الأمر بإخراج زكاة

الفطر قبل الصلاة، حديث رقم: ٩٨٦

قال ابن القيم: ومقتضى هذين الحديثين أنه لا يجوز تأخيرها عن صلاة العيد، وأنها تفوت بالفراغ من الصلاة. وهذا هو الصواب، فإنه لا معارضَ لهذين الحديثين ولا ناسخ، ولا إجماع يدفع القول بهما. وكان شيخنا يُقَوِّي ذلك وينصره.^١

ومما يدل على خطر التفريط في الطاعات وقت وجوبها، أن مَنْ امتنع عن أداء الزكاة وقت وجوبها أخذت منه قهراً وشطر ماله؛ عقوبة له على امتناعه عن أدائها وقت وجوبها؛ فعَنْ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «فِي كُلِّ سَائِمَةٍ إِبِلٌ فِي أَرْبَعِينَ بَنْتَ لَبُونٍ، وَلَا يُفَرِّقُ إِبِلٌ عَنْ حِسَابِهَا مَنْ أَعْطَاهَا مُؤَبَّجَرًا - قَالَ ابْنُ الْعَلَاءِ مُؤَبَّجَرًا بِهَا - فَلَهُ أَجْرُهَا، وَمَنْ مَنَعَهَا فَإِنَّا آخِذُوهَا وَشَطْرَ مَالِهِ، عَزْمَةٌ مِنْ عَزَمَاتِ رَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ، لَيْسَ لِأَلِ مُحَمَّدٍ مِنْهَا شَيْءٌ».^٢

ومما يدل على خطر التفريط في الطاعات وقت وجوبها، أن مَنْ أخذ أسيراً ثم أسلم في الأسر يسقط الخيار في قتله، ويبقى الخيار بين الاسترقاق والمن والفداء؛ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: «كَانَتْ ثَقِيفُ حُلَفَاءَ لِبَنِي عُقَيْلٍ، فَأَسَرَّتْ ثَقِيفُ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَسَرَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا مِنْ بَنِي عُقَيْلٍ، وَأَصَابُوا مَعَهُ الْعَضْبَاءَ، فَأَتَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي الْوُثَاقِ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ فَقَالَ: بِمَ أَخَذْتَنِي، وَبِمَ أَخَذْتَ سَابِقَةَ الْحَاجِّ؟ فَقَالَ: (إِعْظَامًا لِذَلِكَ) أَخَذْتُكَ، بِجَرِيرَةِ حُلَفَائِكَ ثَقِيفَ. ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ فَنَادَاهُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، يَا مُحَمَّدُ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَحِيمًا رَقِيقًا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: إِنِّي مُسْلِمٌ، قَالَ: لَوْ قُلْتَهَا وَأَنْتَ تَمْلِكُ أَمْرَكَ، أَفَلَحْتَ كُلَّ الْفَلَاحِ. ثُمَّ انْصَرَفَ فَنَادَاهُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، يَا مُحَمَّدُ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: إِنِّي جَائِعٌ فَأَطْعِمْنِي، وَظَمَانٌ فَأَسْقِنِي، قَالَ: هَذِهِ حَاجَتُكَ. فَقُدِّي بِالرَّجُلَيْنِ».^٣

١ - زاد المعاد ط: عطاءات العلم (٢/ ٢٥)

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٠٠٤١، وأبو داود - كتاب الزكاة، باب في زكاة السائمة، حديث رقم: ١٥٧٥، والنسائي - كتاب

الزكاة، باب عقوبة مانع الزكاة، حديث رقم: ٢٤٤٤، بسند صحيح

٣ - رواه مسلم - كتاب النذر، باب: لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك العبد، حديث رقم: ١٦٤١

ومما يدل على خطر التفريط في الطاعات وقت وجوبها، البخل بالمال وعدم المواصلة به حال الحياة، ثم بذله عند معاينة الموت؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ قَالَ: أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَحِيحٌ حَرِيصٌ تَأْمُلُ الْغَنَى وَتَخْشَى الْفَقْرَ وَلَا تُمְهِلُ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْخُلُوفُ قُلْتَ: لِفُلَانٍ كَذَا وَلِفُلَانٍ كَذَا وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ»^١.

ومما يدل على خطر التفريط في الطاعات، ومن أمارات العجز، ودلائل الغبن، التأخر يوم الجمعة حتى يصعد الخطيب المنبر، فلا يكتب العبد في الصحف التي تصعد بها الملائكة؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ كَانَ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ الْمَلَائِكَةُ يَكْتُبُونَ الْأَوَّلَ فَلِأَوَّلٍ فَإِذَا جَلَسَ الْإِمَامُ طَوَّأُوا الصُّحُفَ وَجَآؤُوا يَسْتَمْعُونَ الذِّكْرَ»^٢. والمراد بطي الصحف: طي صحف الفضائل المتعلقة بالمبادرة إلى الجمعة دون غيرها، فمن جاء بعد ذلك فاتته هذا الفضل وإن أدرك الجمعة؛ لما ثبت عند ابن ماجه في هذا الحديث: «فَمَنْ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ فَإِنَّمَا يَجِيءُ بِحَقِّهِ إِلَى الصَّلَاةِ»^٣.

قال السندي قوله: «إِلَى الصَّلَاةِ» أي: فله أجر الصلاة وليس له شيء من الزيادة.^٤

ومما يدل على خطر التفريط في الطاعات، ومن أمارات العجز، ودلائل الغبن في ترك تلك الغنائم الباردة، وتضييع تلك الأجور العظيمة، التفريط في عبادات رتب الشارع عليها أجورًا عظيمة؛ روى الإمام أبو داود وابن ماجه في سننهما بسند صحيح عن أُوسِ بْنِ أُوسِ الثَّقَفِيِّ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى

١ - رواه البخاري- كتاب الوصايا، باب الصدقة عند الموت، حديث رقم: ٢٧٤٨، ومسلم- كتاب الزكاة، باب بيان أن أفضل

الصدقة صدقة الصحيح الشحيح، حديث رقم: ١٠٣٢

٢ - رواه البخاري- كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، حديث رقم: ٣٢١١، ومسلم- كتاب الجمعة، باب فضل التهجير يوم الجمعة، حديث رقم: ٨٥٠

٣ - رواه ابن ماجه- كتاب إقامة الصلاة، والسنة فيها، باب ما جاء في التهجير إلى الجمعة، حديث رقم: ١٠٩٢

٤ - حاشية السندي على سنن ابن ماجه (١/ ٣٤٠)

الله عليه وسلم يَقُولُ: «مَنْ غَسَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَاغْتَسَلَ، ثُمَّ بَكَرَ وَابْتَكَرَ، وَمَشَى وَلَمْ يَرْكَبْ، وَدَنَا مِنَ الْإِمَامِ فَاسْتَمَعَ وَلَمْ يَلْغُ كَانَ لَهُ بِكُلِّ خُطْوَةٍ عَمَلُ سَنَةِ أَجْرِ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا»^١.

ومهما بحثت فلن تجد حديثاً صحيحاً فيه أجر أعظم من هذا الأجر الذي ذكر في هذا الحديث، فمن أتى بتلك الآداب مجتمعة كان له بكل خطوة يخطوها أجر سنة صيامها وقيامها، كأنه صام هذه السنة وكأنه قامها لله سبحانه وتعالى، وهذا الأجر لمن أتى بتلك الآداب مجتمعة، ومن اختل عنده شرط من هذه الشروط الواردة في حديث النبي صلى الله عليه وسلم كعدم الاغتسال ليوم الجمعة، وعدم التكبير، أو أن يجلس في آخر المسجد وعنده متسع في مقدمة المسجد بقرب الإمام، أو تشاغل ولم ينصت، أو لغى والإمام يخطب فقد فوت على نفسه الأجر الموعود.

ومن التأخر المذموم التأخر عن صلاة الجماعة فلا يأتي الصلاة إلا وقد فُرِغَ منها؛ فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رَأَى فِي أَصْحَابِهِ تَأَخُّراً، فَقَالَ هُمْ: «تَقَدَّمُوا فَأَتَمُّوا بِي، وَلْيَأْتَمَّ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»^٢.

ومن التأخر المذموم التأخر عن الصف الأول؛ فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ عَنِ الصَّفِّ الْأَوَّلِ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللَّهُ فِي النَّارِ»^٣.

وإذا كان هذا حال من يتأخر عن صلاة الجماعة، ومن يتأخر عن الصف الأول فإن من يتخلف عن الصلاة أسوأ حالاً، وأقبح مآلاً، والوعيد الوارد فيمن هذا حاله أعظم بكثير جداً؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَدْ نَاسَا فِي بَعْضِ الصَّلَوَاتِ فَقَالَ: لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَمُرَ رَجُلًا

١ - رواه أبو داود- كتاب الطهارة، بَابُ فِي الْغُسْلِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، حديث رقم: ٣٤٥، وابن ماجه- كتابُ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَالسُّنَّةُ

فِيهَا، بَابُ مَا جَاءَ فِي الْغُسْلِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، حديث رقم: ١٠٨٧، وأبو داود الطيالسي في مسنده- حديث رقم: ١٢١٠

٢ - رواه أحمد- حديث رقم: ١١٥١١، وأبو داود- كتاب الصلاة، باب صف النساء وكرهية التأخر عن الصف الأول، حديث رقم: ٦٨٠، والنسائي- كتاب الإمامة، الائتمام بمن يَأْتَمُّ بالإمام، حديث رقم: ٧٩٥، بسند صحيح

٣ - رواه أبو داود- كتاب الصلاة، باب صف النساء وكرهية التأخر عن الصف الأول، حديث رقم: ٦٧٩، بسند صحيح

يُصَلِّي بِالنَّاسِ، ثُمَّ أُخَالِفَ إِلَى رِجَالٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنْهَا فَأَمَرَ بِهِمْ فَيُحَرِّقُوا عَلَيْهِمْ بِحُزْمِ الْحَطَبِ بُيُوتَهُمْ. وَلَوْ عَلِمَ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَجِدُ عَظْمًا سَمِينًا لَشَهَدَهَا» - يَعْنِي صَلَاةَ الْعِشَاءِ - ١.

وكونه يهتم بذلك وهو المبعوث رحمة للعالمين يدل على خطورة هذا الذنب، وعظم هذا الجرم.

فالأمر خطير جد خطير، أن يؤدي إنسان صلاة الليل في النهار أو يؤدي صلاة النهار في الليل فلا يصلي الفجر إلا بعد طلوع الشمس، ولا يصلي العصر إلا بعد غروب الشمس، وقد توعد الله تعالى على ذلك بالنار، وأخبر أن ذلك تضييع للصلاة؛ قال الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ﴾ ٢.

وعن الْقَاسِمِ بْنِ مُحَيَّمَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩]، قَالَ: أَضَاعُوهَا عَنْ مَوَاقِيتِهَا. ٣

والعادل هو من يقتنص تلك الفوائد، ويبادر إلى تلك الفضائل؛ قال عمر رضي الله عنه: ليس العادل الذي يعلم الخير من الشر وإنما العادل الذي يعلم خير الخيرين وشر الشرين.

ولا شك أن هذا الذي يفرط في حق الله تعالى، ويتوانى في الاستجابة إليه حتى يفوت وقته، ولا يمكنه تداركه، سفيه عاجز الرأي؛ قال الخليل بن أحمد الفراهيدي:

وعاجزُ الرَّأْيِ مضِياعٌ لِفُرْصَتِهِ ***** حَتَّى إِذَا فَاتَ أَمْرٌ عَاتَبَ الْقَدْرَا
وقال الشاعر:

أَنْتُمْ أَنْاسٌ عَظَامٌ لَا حُلُومَ لَكُمْ ***** لَا تَعْلَمُونَ أَجَاءَ الرَّشْدِ أَمْ غَابَا

١ - رواه البخاري - كتاب الإشخاص والخصومات، باب إخراج أهل المعاصي والخصوم من البيوت بعد المعرفة، حديث رقم:

٢٤٢٠، ومسلم - كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب فضل صلاة الجماعة، وبيان التشديد في التخلف عنها، حديث رقم:

٦٥١، واللفظ لمسلم

٢ - سورة مريم: الآية / ٥٩

٣ - رواه محمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة - حديث رقم: ٣٩، والطبري في التفسير (١٥ / ٥٦٧)

لا تبصرون وجوه الرّأي مقبلة ***** وتبصرون إذا ولين أذنا

«وَإِنَّمَا لَا تُقْبَلُ نَافِلَةٌ حَتَّى تُؤَدَّى الْفَرِيضَةُ».

قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه «وَإِنَّمَا لَا تُقْبَلُ نَافِلَةٌ حَتَّى تُؤَدَّى الْفَرِيضَةُ». دل عليه مَا وَرَدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ فَإِذَا أَحَبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ».^١

الْفَرَضُ لُغَةً: الْقَطْعُ.

يطلق الْفَرَضُ ويراد به عدة معان: منها الواجب، يقال فَرَضْتُ الشَّيْءَ أَفَرَضُهُ فَرَضًا وَفَرَضْتُهُ لِلتَّكْثِيرِ: أَوْجَبْتُهُ. قال تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا﴾.^٢

والْفَرَضُ: مَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّ لَهُ مَعْلَمَ وَحُدُودًا. وفرض الله عَلَيْنَا كَذًا وَكَذَا وَافْتَرَضَ أَيَّ أَوْجَبَ. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ﴾.^٣ أَيَّ أَوْجَبَهُ عَلَى نَفْسِهِ بِإِحْرَامِهِ.

والْفَرَضُ: الْعَطِيَّةُ الْمَرْسُومَةُ، وَقِيلَ: مَا أُعْطِيَنَّهُ بِغَيْرِ قَرْضٍ. وَأَفَرَضْتُ الرَّجُلَ وَفَرَضْتُ الرَّجُلَ وَافْتَرَضْتُهُ إِذَا أُعْطِيَنَّهُ. وَقَدْ أَفَرَضْتُهُ إِفْرَاضًا.

وَالْفَرَضُ: الْحَزُّ فِي الشَّيْءِ وَالْقَطْعُ، وَفَرَضْتُ الْعُودَ وَالزَّيْدَ وَالْمِسْوَاكَ وَفَرَضْتُ فِيهِمَا أَفَرَضُ فَرَضًا: حَزَزْتُ فِيهِمَا حَزًّا. وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: فَرَضَ مِسْوَاكَهُ فَهُوَ يَفْرِضُهُ فَرَضًا إِذَا حَزَّهُ بِأَسْنَانِهِ.

١ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كتاب الرقاق، باب التواضع، حديث رقم: ٦١٤٧

٢ - سورة النور: الآية / ١

٣ - سورة البقرة: الآية / ١٩٧

أَفْسَامُ الْفَرَضِ:

ينقسمُ الْفَرَضُ بِاعْتِبَارِ فَاعِلِهِ، إِلَى قَسْمَيْنِ:

الأول: فَرَضٌ عَيْنٍ، وهو ما يجب على كل مكلف بعينه بحيث لا تبرأ ذمته منه بفعل غيره له؛ كَعَامَّةِ الْعِبَادَاتِ.

والثاني: فَرَضٌ كِفَايَةٍ، وهو ما طلبه الشارع من مجموع المكلفين بحيث أنه إذا فعله بعضهم سقط طلبه عن الآخرين، وإن لم يفعله أحد أثموا جميعاً لعدم فعله؛ كَالْأَذَانِ وَصَلَاةِ الْجَنَازَةِ، وَالْجِهَادِ، وَالْجُمْهُورِ عَلَى أَنَّ الْفَرَضَ الْعَيْنِي أَفْضَلُ مِنَ الْفَرَضِ الْكِفَائِي، ويرى بعض العلماء أن الاشتغال بفرض الكفاية، أفضل من الاشتغال بفرض العين هو قول الاستاذ أبي إسحاق الإسفراييني وإمام الحرمين وأبوه الشيخ أبو محمد الجويني، وقالوا: القيام بفرض الكفاية يرفع الإثم عن الأمة كلها، أما من فعل فرض العين قد رفع الإثم عن نفسه فقط، وكذلك فرض الكفاية نفعه متعدٍ، وفرض العين نفعه قاصر على صاحبه، قال الإمام الجويني: ثم الذي أراه أن القيام بما هو من فروض الكفايات أخرى بإحراز الدرجات، وأعلى في فنون القربات من فرائض الأعيان.^١

قال الزركشي: حَكَاهُ الْأُسْتَاذُ أَبُو إِسْحَاقَ الْإِسْفَرَايِينِي فِي "شَرْحِ كِتَابِ التَّرْتِيبِ" وَجَزَمَ بِهِ الشَّيْخُ أَبُو مُحَمَّدٍ الْجَوِينِي فِي كِتَابِهِ الْحَيْطِ بِمَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ "وَكَذَلِكَ وَلَدُهُ إِمَامُ الْحَرَمَيْنِ فِي كِتَابِهِ "الْعِيَاثِي".^٢

وقال صاحب مراقبي السعود:

وَرَعَمَ الْأُسْتَاذُ وَالْجَوِينِي ***** وَجَلَّهُ يُفْضَلُ فَرَضَ الْعَيْنِ

والراجح قول الجمهور؛ لأن عناية الشارع بفروض الأعيان أكثر من عنايته بفروض الكفايات. وَالنَّقْلُ بِالسُّكُونِ: الزِّيَادَةُ.

١ - انظر غياث الأمم في التياث الظلم (ص: ٣٥٨، ٣٥٩)، تحقيق د. عبد العظيم الديب.

٢ - البحر المحيط في أصول الفقه (١/ ٣٣٢)

قال ابن منظور: كلُّ عطِيَّةٍ تَبَرَّعَ بِهَا مُعْطِيهَا مِنْ صَدَقَةٍ أَوْ عَمَلٍ خَيْرٍ فَهِيَ نَافِلَةٌ. ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ: النَّفْلُ الْغَنَائِمُ، وَالنَّفْلُ الْهَبَةُ، وَالنَّفْلُ التَطَوُّعُ. ابْنُ السَّكَيْتِ: تَنَفَّلَ فُلَانٌ عَلَى أَصْحَابِهِ إِذَا أَخَذَ أَكْثَرَ مِمَّا أَخَذُوا عِنْدَ الْغَنِيمَةِ. وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ: نَفَّلْتُ فُلَانًا عَلَى فُلَانٍ أَيَّ فَضَّلْتُهُ. وَالنَّفْلُ، بِالتَّخْرِيقِ: الْغَنِيمَةُ.^١

وَالنَّفْلُ وَالنَّافِلَةُ: مَا يَفْعَلُهُ الْإِنْسَانُ مِمَّا لَا يَجِبُ عَلَيْهِ. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ﴾؛ وَالنَّفْلُ وَالنَّافِلَةُ: عَطِيَّةُ التَطَوُّعِ مِنْ حَيْثُ لَا يَجِبُ، وَمِنْهُ نَافِلَةُ الصَّلَاةِ. وَالتَّنْفُّلُ: التَطَوُّعُ.

وَالنَّافِلَةُ: وَلَدُ الْوَلَدِ، وَهُوَ مِنْ ذَلِكَ لِأَنَّ الْأَصْلَ كَانَ الْوَلَدَ فَصَارَ وَلَدُ الْوَلَدِ زِيَادَةً عَلَى الْأَصْلِ؛ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي قِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ، عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً؛ كَأَنَّهُ قَالَ وَهَبْنَا لِإِبْرَاهِيمَ إِسْحَاقَ فَكَانَ كَالْفَرَضِ لَهُ، ثُمَّ قَالَ: وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً، فَالنَّافِلَةُ لِيَعْقُوبَ خَاصَّةً لِأَنَّهُ وَلَدُ الْوَلَدِ أَيَّ وَهَبْنَا لَهُ زِيَادَةً عَلَى الْفَرَضِ لَهُ، وَذَلِكَ أَنَّ إِسْحَاقَ وَهَبَ لَهُ بِدُعَائِهِ وَزَيْدَ يَعْقُوبَ تَفْضُّلاً.^٢ فَمَكَانَةُ الْفَرَضِ أَكْثَرُ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ مَكَانَةِ النِّفْلِ، بَلْ لَا تَقْبَلُ نَافِلَةً أَصْلًا مَا لَمْ تَوْدَى الْفَرِيضَةُ، كَمَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَعْلَمَ هَذِهِ الْأُمَّةُ بَعْدَ نَبِيِّهَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَعَنْ يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ حَاطِبٍ قَالَ: كَانَ عُمَرُ إِذَا هَبَطَ عَنِ السُّوقِ مَرَّ عَلَى الشَّقَاءِ ابْنَةِ عُبَيْدِ اللَّهِ، فَمَرَّ عَلَيْهَا يَوْمًا مِنْ رَمَضَانَ قَالَ: «أَيْنَ سُلَيْمَانُ؟» ابْنُهَا، قَالَتْ: نَائِمٌ قَالَ: «وَمَا شَهِدَ صَلَاةَ الصُّبْحِ؟» قَالَتْ: لَا، قَامَ بِالنَّاسِ اللَّيْلَةَ، ثُمَّ جَاءَ فَضَرَبَ بِرَأْسِهِ، فَقَالَ عُمَرُ: «شُھُودُ صَلَاةِ الصُّبْحِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ حَتَّى الصُّبْحِ».^٣

وَعَنْ ابْنِ أَبِي عَمْرَةَ الْأَنْصَارِيِّ قَالَ: جِئْتُ وَعُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ صَلَاةَ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ، فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ عُثْمَانُ: «شُھُودُ صَلَاةِ الصُّبْحِ كَقِيَامِ لَيْلَةٍ، وَصَلَاةُ الْعِشَاءِ كَقِيَامِ نِصْفِ لَيْلَةٍ».^٤

١ - لسان العرب - مادة (ن ف ل)

٢ - لسان العرب - مادة (ن ف ل)

٣ - مصنف ابن أبي شيبة (١/ ٢٩٣)

٤ - رواه ابن أبي شيبة في مصنفه - كتاب الصلاة، في التخلف في العشاء والفجر وفضل حضورهما، حديث رقم: ٣٣٢١

وَعَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ قَالَ: قَالَ عَطَاءٌ: «شُهُودُ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ مَا كَانَتْ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قِيَامٍ لَيْلَةٍ، وَصِيَامٍ يَوْمٍ».^١

قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه «وَأَيُّهَا لَا تُقْبَلُ نَافِلَةٌ حَتَّى تُؤَدَّى الْفَرِيضَةُ». هو ما يعرف بفقه الأولويات، وهو أمر في غاية الأهمية، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: الواجب تحصيل المصالح وتكميلها؛ وتعطيل المفاسد وتقليلها، فإذا تعارضت كان تحصيل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما ودفع أعظم المفسدتين مع احتمال أدناهما: هو المشروع.^٢

ويخطئ كثير من الناس فيقدم غير المهم على المهم أو يقدم ما لا يحتاجه على ما هو في أمس الحاجة إليه، وهذا خطأ عظيم، وهذا خلاف هدي النبي صلى الله عليه وسلم وقد دلت سنة النبي صلى الله عليه وسلم على فقه الأولويات؛ روى البخاري ومسلم في صحيحهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ: إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْكُمْ صَدَقَةً، تُؤْخَذُ مِنْ أَعْيَانِهِمْ، فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ».^٣

ومما يدل على تقديم الفريضة على النافلة؛ أنه لا يجوز إحداث نافلة إذا ضاق وقت الفريضة فلم يتسع لسواها؛ فإذا دخل إنسان المسجد يريد أن يصلي وضاق الوقت بدأ بالفريضة، ولا يجوز له أن يصلي قبلها نافلة.

١ - رواه عبد الرزاق في مصنفه - كتاب الصلاة، باب فضل الصلاة في جماعة، حديث رقم: ١٩٤٤

٢ - السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية (ص: ٤٠)

٣ - رواه البخاري - كتاب المغازي، بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، حديث رقم: ٤٣٤٧، ومسلم - كتاب

الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين والدعاء إليه، حديث رقم: ١٩

وَإِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ الْمَكْتُوبَةُ، لَمْ يَشْتَغَلْ عَنْهَا بِغَيْرِهَا؛ لَقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا صَلَاةَ إِلَّا الْمَكْتُوبَةُ».^١

قال ابن قدامة: وإذا أُقيمت الصلاة، لم يشتغل عنها بنافلة، سواء خشي فوات الركعة الأولى أم لم يخش. وبهذا قال أبو هريرة، وابن عمر، وعروة، وابن سيرين، وسعيد بن جبير، والشافعي، وإسحاق، وأبو ثور. وروى عن ابن مسعود، أنه دخل والإمام في صلاة الصبح، فركع ركعتي الفجر. وهذا مذهب الحسن، ومكحول، ومجاهد، وحماد بن أبي سليمان. وقال مالك: إن لم يخف فوات الركعة ركعهما خارج المسجد. وقال الأوزاعي، وسعيد بن عبد العزيز، وأبو حنيفة: يركعهما إلا أن يخاف فوات الركعة الأخيرة. ولنا، قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا صَلَاةَ إِلَّا الْمَكْتُوبَةُ". رواه مسلم؛ ولأن ما يفوته مع الإمام أفضل مما يأت به، فلم يشتغل به، كما لو خاف فوات الركعة. قال ابن عبد البر في هذه المسألة: الحجة عند التنازع السنة، فمن أدلى بها فقد فلج، ومن استعملها فقد نجا. قال: وقد روت عائشة، رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج حين أُقيمت الصلاة، فرأى ناسا يصلون، فقال: "أصلتان معا؟".^٢

وكان عُمَرُ يَضْرِبُ عَلَى صَلَاةٍ بَعْدَ الْإِقَامَةِ.

وسئل أحمد عن رجل بقي عليه ركعتا الفجر والمؤذن يقيم أي ذلك أحب إليك يكبر مع الإمام ثم يقضي، أو يركعهما ثم يدخل في صلاة الإمام؟

قال: السنة فيه إذا أُقيمت الصلاة فلا يصلي ركعتي الفجر في المسجد أبداً.^٣

«إِنَّمَا ثَقُلَتْ مَوَازِينُ مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمْ فِي الدُّنْيَا الْحَقَّ، وَثَقُلَ عَلَيْهِمْ، وَحَقٌّ لِمِيزَانٍ أَنْ لَا يُوضَعَ فِيهِ إِلَّا الْحَقُّ أَنْ يَكُونَ ثَقِيلًا».

١ - رواه مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب كراهة الشروع في نافلة بعد شروع المؤذن، حديث رقم: ٧١٠، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٢ - المغني لابن قدامة (١١٩ / ٢)

٣ - مسائل الإمام أحمد وإسحاق بن راهويه (٨٢٠ / ٢)

وَالْمِيزَانُ حَقٌّ؛ يَنْصَبُ اللَّهُ تَعَالَى مِيزَانًا لَهُ لِسَانٌ وَكَفَّتَانِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (٨) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٨، ٩]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ * فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١ - ١٠٣]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ * نَارٌ حَامِيَةٌ﴾^١.

وتوزن به أعمال العباد؛ فعن أبي الدرداء رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلَ فِي الْمِيزَانِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ»^٢.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»^٣.

وتوزن صحائف الأعمال؛ فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُنْشَرُ لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ سِجْلًا كُلُّ سِجْلٍ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: أَتَنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَلَيْكَ عُذْرٌ، أَوْ حَسَنَةٌ؟ فَيَهَابُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَاتٍ، وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ، فَيُخْرِجُ لَهُ بَطَاقَةً فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبَطَاقَةُ

١ - سورة الفارعة: الآية / ٦ - ١١

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٧٥١٧، وأبو داود - باب في حسن الخلق، حديث رقم: ٤٧٩٩، بسند صحيح

٣ - رواه البخاري - كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح، حديث رقم: ٦٤٠٦، ومسلم - كتاب الذكر، والدعاء، والتوبة، والاستغفار، باب فضل التهليل، والتسبيح، والدعاء، حديث رقم: ٢٦٩٤

مَعَ هَذِهِ السَّجَّلَاتِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تُظَلِّمُ، قَالَ: فَيُوضَعُ السَّجَّلَاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ فَطَاشَتْ السَّجَّلَاتُ، وَتُقْلَتِ الْبِطَاقَةُ»^١.

ويوزن به العبادُ أنفسهم؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَرِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحُ بَعُوضَةٍ. وَقَالَ: اقْرَأُوا ﴿فَلَا يُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾»^٢.

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ حُبَيْشٍ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَانَ يَحْتَرُّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَوَاكًا مِنْ أَرَاكِ، وَكَانَ فِي سَاقِيهِ دِقَّةٌ، فَضَحِكَ الْقَوْمُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا يُضْحِكُكُمْ مِنْ دِقَّةِ سَاقِيهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أَحَدٍ»^٣.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يُؤْتَى بِالرَّجُلِ الْأَكُولِ الشَّرُوبِ الْعَظِيمِ، فَيُوزَنُ بِحَبَّةٍ فَلَا يَزِيهَا قَالَ وَقَرَأَ: ﴿فَلَا يُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الْكَهْفِ: ١٠٥].^٤

وَعَنْ بُرَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ، فَأَذْنَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَرَّبَهُ، فَلَمَّا قَامَ قَالَ: «يَا بُرَيْدَةُ، أَتَعْرِفُ هَذَا؟» قُلْتُ: نَعَمْ، هَذَا أَوْسَطُ قُرَيْشٍ حَسَبًا، وَأَكْثَرُهُمْ مَالًا، ثَلَاثًا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْبَأْتُكَ بِعِلْمِي فِيهِ، فَأَنْتَ أَعْلَمُ. فَقَالَ: «هَذَا مِمَّنْ لَا يُقِيمُ اللَّهُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا»^٥.

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ٦٩٩٤، وابن ماجه - كِتَابُ الرُّغَدِ، بَابُ مَا يُرْجَى مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حديث رقم: ٤٣٠٠، والحاكم - كِتَابُ الْإِيمَانِ، حديث رقم: ٩، بسند صحيح

٢ - رواه البخاري - كتاب التفسير، تفسير سورة الكهف، باب: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ الآية، حديث رقم: ٤٧٢٩، ومسلم - كتاب صفة القيامة والجنة والنار، حديث رقم: ٢٧٨٥

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ٩٢٠، وابن حبان - كِتَابُ إِخْبَارِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ مَنَاقِبِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، مناقب الصحابة رضي الله عنهم أَجْمَعِينَ، ذِكْرُ تَمْثِيلِ الْمُصْطَفَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَاعَاتِ ابْنِ مَسْعُودٍ الَّتِي كَانَ بِسَبِيلِهَا مِنْ قَدَمَيْهِ بِأَحَدٍ فِي ثَقُلِ الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حديث رقم: ٧٠٦٩، بسند صحيح

٤ - رواه ابن جرير وابن أبي حاتم - حديث رقم: ١٣٠٠٣

٥ - رواه البزار - حديث رقم: ٤٤٤٩، والطبراني في الأوسط - حديث رقم: ١٢٨٢

ويوزن ذلك بميزان له لسان وكفتان، تنظر إليه الخلائق، تأكيداً للحجة، وإظهاراً للنصفة، وقطعاً للمعذرة.

وأما الكفار فلا يقام لهم ميزان ابتداءً؛ قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسَبُونَ أَنَّهم يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهم وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا^١.

ولا يقام لهم يوم القيامة ميزان؛ لأن أعمالهم لا قيمة لها ولا وزن لها؛ قال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهم أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: ١٨]، وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُوْنِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾ (١٠٢) قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسَبُونَ أَنَّهم يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهم وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا (١٠٥) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ﴿[الكهف: ١٠٢ - ١٠٦]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [النور ٣٩]، وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالُهُمْ﴾^٢.

قال الشيخ حافظ بن أحمد الحكمي:

وَالْوَزْنُ بِالْقِسْطِ فَلَا ظُلْمَ وَلَا يُوْخَذُ عَبْدٌ بِسَوْى مَا عَمِلَا
فَبَيَّنَ نَاجٍ رَاجِحٌ مِيزَانُهُ ***** وَمَقْرِفٍ أَوْبَقُهُ عُدْوَانُهُ

١ - سورة الكهف: الآية/ ١٠٣ - ١٠٥

٢ - سورة محمد: الآية/ ١

«إِنَّمَا ثَقُلْتُ مَوَازِينُ مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمْ فِي الدُّنْيَا الْحَقَّ، وَثَقُلَهُ عَلَيْهِمْ».

قول الصديق رضي الله عنه: «إِنَّمَا ثَقُلْتُ مَوَازِينُ مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...»، يحتمل أمرين: الأول: أَنَّ الْحَقَّ ثَقِيلٌ لِمَا لَهُ مِنَ الْقَدْرِ الْعَظِيمِ، وَالْمَكَانَةِ السَّامِيَةِ، فَإِنْ فِيهِ نَجَاةُ الْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَبِهِ تَغْفِرُ الذُّنُوبَ وَتَكْفِرُ السَّيِّئَاتِ، وَتَرْفَعُ الدَّرَجَاتِ.

ويوصف الشيء بأنه ثقيل إذا كان له قدر كبير، يقال: فلان ثقيل، إذا كانت له مكانة كبيرة، ووصف الله تعالى القرآن بذلك لما له من المكانة السامية، والمنزلة العالية الرفيعة؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾. قال ابن زيد: هو والله ثقيلٌ مُبَارَكُ الْقُرْآنِ، كما ثَقُلَ فِي الدُّنْيَا ثَقُلَ فِي الْمَوَازِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^١.

الثاني: أَنَّ الْحَقَّ لَهُ ثَقْلٌ عَلَى النُّفُوسِ، وَيَحْتَاجُ إِلَى صَبْرٍ وَمُكَابَدَةٍ؛ لِأَنَّهُ فِيهِ تَكْلِيفٌ، وَالتَّكْلِيفُ: طَلَبُ مَا فِيهِ مَشَقَّةٌ، وَالْمَشَقَّةُ فِي التَّكْلِيفِ وَإِنْ كَانَتْ مُحْتَمَلَةً إِلَّا أَنَّهَا لَهَا ثَقْلٌ عَلَى النُّفُوسِ؛ قَالَ قَتَادَةُ: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾. ثقيل والله فرائضه وحدوده^٢.

وهذا معنى ما رواه مسلم عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حُقَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ، وَحُقَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ»^٣.

قال ابن هبيرة: قوله: حفت الجنة أي أحيطت بالمكارة، وذلك أَنَّ الْمَكَارَةَ هِيَ مَا يَكْرَهُهُ الْآدَمِيُّ مِنْ خُرُوجِ مَالٍ عَنْ يَدِهِ فِي صَدَقَةٍ، أَوْ فَجْعَةٍ بِحَمِيمٍ لَهُ، أَوْ خُرُوجِ نَفْسِهِ بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ذَهَابِ عَرْضِهِ مَعَ مَنْ يَعْضُّهُ، أَوْ صَبْرٍ عَلَى لَذَّةٍ مُحْرَمَةٍ لِأَجْلِ اللَّهِ، أَوْ احْتِسَابِ طَعَامٍ وَشَرَابٍ وَفِرَاقِ زَوْجَةٍ فِي صِيَامٍ لِأَجْلِ اللَّهِ تَعَالَى، أَوْ رَغْبَةٍ مِنْ وَطْءٍ وَأَهْلٍ بِقَصْدٍ إِلَى الْحَجِّ، أَوْ صَبْرٍ عَلَى بَرْدِ مَاءٍ فِي إِسْبَاغِ وُضُوءٍ فِي شِدَّةِ بَرْدٍ لِأَجْلِ اللَّهِ تَعَالَى، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ. كَمَا حَفَّتِ النَّارُ أَيِ أَحِيطَ بِهَا بِالشَّهَوَاتِ، فَجَعَلَ جَانِبَ

١ - تفسير الطبري (٢٣ / ٣٦٦)

٢ - تفسير الطبري (٢٣ / ٣٦٥)

٣ - رواه مسلم - كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، حديث رقم: ٢٨٢٣

منها يدخل إليه من شهوة الزنا، وجانب يدخل إليه بأكل الربا، وجانب منها بشرب الخمر، وجانب منها بالغدر، وجانب بالنميمة، وجانب بالغيبة إلى غير ذلك.^١

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إِلَى الْجَنَّةِ فَقَالَ: انْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فَجَاءَهَا وَنَظَرَ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَّ اللَّهُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهِ، قَالَ: فَوَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُقَّتْ بِالْمَكَارِهِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا فَانْظُرْ إِلَى مَا أَعَدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، قَالَ: فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَإِذَا هِيَ قَدْ حُقَّتْ بِالْمَكَارِهِ، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خِفْتُ أَنْ لَا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ، قَالَ: اذْهَبْ إِلَى النَّارِ فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعَدَدْتُ لِأَهْلِهَا فِيهَا، فَإِذَا هِيَ يَرْكُبُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُقَّتْ بِالشَّهَوَاتِ، فَقَالَ: ارْجِعْ إِلَيْهَا، فَرَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لَا يَنْجُو مِنْهَا أَحَدٌ إِلَّا دَخَلَهَا».^٢

وقال مقاتل: يعني القرآن شديداً، لما في القرآن من الأمر والنهي والحدود والفرائض.^٣

وقال الزجاج: جاء في التفسير أنه يثقل العمل به، لأن الحلال والحرام والصلاة والصيام وجميع ما أمر الله به أن يعمل، ونهى عنه، لا يؤديه أحد إلا بتكلف ما يثقل عليه.^٤

وقال الله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾.^٥

عن الضحاك، في قوله: ﴿وَأِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾، قال: إنها لثقيلة.^٦

١ - الإفصاح عن معاني الصحاح (٣٨٧ / ٥)

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ٨٣٩٨، وأبو داود - كتاب السنة، باب في خلق الجنة والنار، حديث رقم: ٤٧٤٤، والترمذي - أبواب صفة الجنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات، حديث رقم: ٢٥٦٠، بسند صحيح

٣ - تفسير مقاتل بن سليمان (٤ / ٤٧٥)، وانظر التفسير البسيط (٢٢ / ٣٥٢)

٤ - معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٥ / ٢٤٠)

٥ - سورة البقرة: الآية / ٤٥

٦ - تفسير الطبري (١ / ١٥)

قال ابن جرير: ويعني بقوله: ﴿وَأَمَّا لَكَبِيرَةٌ﴾: لشديدة ثقيلة. ويعني بقوله: ﴿إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾: إلا على الخاضعين لطاعته، الخائفين سطواته، المصدقين بوعده ووعيده.^١

ومن ذلك دفع السيئة بالحسنى، كمقابلة الظلم بالصفح والعفو، ومقابلة السب والشتم بالدعاء، ومقابلة القطيعة والحرمان، بالصلة والبر والإحسان، وهو أمرٌ لا تطبيقه إلا نفوس لها حظ عظيم من الخير، ومنزلة سامية من الفضل، ودرجة كبيرة من نبل الأخلاق، ومعالي السمائل، وكريم الصفات؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.^٢

أي: لا يؤتى هذه الخصلة العظيمة من خصال مكارم الأخلاق إلا أولوا العزائم، أصحاب الهمم العالية، والنفوس الشريفة السامية، الذين وطنوا أنفسهم على الصبر على المكاره، وتخلقوا بالحلم، ومرنوا على كظم الغيظ، وكبح جماح النفس إذا دعاها داعي الغضب للانتصار عند الإساءة، والتشفي عند المعاقبة، ومن كان هذا حاله فإنه بلا شك لا حظ من الدين عظيم، وقدر من العلم وافر، ونصيب من العقل باهر.

قال أبو حفص النسفي: أي: وما يعطى هذه الخصلة، وهي دفع السيئة بالحسنة، وما يُوفَّق لتلقيها؛ أي: قبولها واستقبالها وأخذها. وقيل: أي: الموعظة. ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾: ووطنوا أنفسهم على الصبر لله على المكاره، ﴿وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾: أي: ذو نصيب وافر من العقل والعلم.^٣

وقد بلغ الأنبياء والمرسلون من ذلك الحظ مبلغاً ليس بعده غاية، ولا وراءه لأحد مطلباً؛ ولقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم أروع المثل في العفو والصفح والإعراض، عمن أساء إليه، بل والإحسان إليه على عظم إساءته؛ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ أَثَرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاسًا فِي الْقِسْمَةِ فَأَعْطَى الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ

١ - تفسير الطبري (١٥ / ١)

٢ - سورة فصلت: الآية / ٣٤، ٣٥

٣ - التيسير في التفسير (١٨٤ / ١٣)

ذَلِكَ، وَأَعْطَى أَنَسًا مِنْ أَشْرَافِ الْعَرَبِ، وَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْقِسْمَةِ، فَقَالَ: رَجُلٌ وَاللَّهِ إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدَ فِيهَا وَجْهُ اللَّهِ، قَالَ: فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَأُخْبِرَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ، قَالَ: فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّى كَانَ كَالصِّرْفِ، ثُمَّ قَالَ: فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ يَعْدِلِ اللَّهُ وَرَسُولُهُ؟! قَالَ: ثُمَّ قَالَ: يَرْحَمُ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُودِيَ بِأَكْثَرِ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ، قَالَ: قُلْتُ: لَا جَرَمَ لَا أَرْفَعُ إِلَيْهِ بَعْدَهَا حَدِيثًا»^١.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لَمَّا تُوفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ابْنُ سَلُولَ، جَاءَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلَهُ أَنْ يُعْطِيَهُ قَمِيصَهُ يُكْفِنُ فِيهِ أَبَاهُ، فَأَعْطَاهُ ثُمَّ سَأَلَهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُصَلِّيَ عَلَيْهِ، فَقَامَ عُمَرُ فَأَخَذَ بِثَوْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُصَلِّيُ عَلَيْهِ وَقَدْ هَاكَ اللَّهُ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّمَا خَيْرِي اللَّهُ فَقَالَ: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً وَسَأَرِيدُهُ عَلَى سَبْعِينَ. قَالَ: إِنَّهُ مُنَافِقٌ. فَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾»^٢.

فهذا عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين الذي تولى كبره في حديث الإفك، والذي قال: لئن رجعنا إلى المدينة؛ جابر بن عبد الله يقول: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزَاةٍ فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لِلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ فَقَالَ: دَعُوهَا فَإِنَّهَا مُنْتَنَةٌ فَسَمِعَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي فَقَالَ: قَدْ فَعَلُوهَا وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا

١ - رواه البخاري- كتاب التفسير، باب فرض الخمس، باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطي المؤلفه قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه، حديث رقم: ٣١٥٠، ومسلم- كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلفه قلوبهم على الإسلام وتصبر من قوي إيمانه، حديث رقم: ١٠٦٢

٢ - رواه البخاري- سورة براءة، باب: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾، حديث رقم: ٤٦٧٢، ومسلم- كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، حديث رقم: ٢٧٧٤

إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ. قَالَ عُمَرُ: دَعْنِي أَضْرِبَ عُتُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ فَقَالَ: دَعُهُ لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»^١.

ومع ما قاله وما فعله في حربه لدين الله، وصدده عن سبيل الله، وعدائه لرسول الله صلى الله عليه وسلم، يعطي لابنه قميصه ليكفنه فيه، وصلى عليه حتى نهاه الله تعالى عن الصلاة عن المنافقين والاستغفار لهم.

وهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه قال له رجل: لأسبنك سبًا يدخل معك قبرك، فقال له الصديق رضي الله عنه: معك والله يدخل لا معي.

وقال رجل لعمر بن العاص: والله لأتفرغن لك. قال: هنا لك وقعت في الشغل.

قال: كأنك تهددني، والله لئن قلت لي كلمة لأقولن لك عشرًا. قال: وأنت والله لئن قلت لي عشرًا لم أقل لك واحدة.

وشتم رجل أبا ذر، فقال: يا هذا، لا تغرق في شتمنا ودع للصالح موضعًا، فإننا لا نكافيء من عصي الله فينا بأكثر من أن نطيع الله فيه.

وهذا الشعبي عامر بن شرحبيل نسب إليه رجلٌ أمورًا قبيحة، فقال له الشعبي: إن كنت كاذبًا فغفر الله لك، وإن كنت صادقًا فغفر الله لي.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه «أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصْلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسَيِّئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ فَقَالَ: لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمْ الْمَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ»^٢.

١ - رواه البخاري - كتاب التفسير، سورة المنافقون، باب قوله: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾، حديث رقم: ٤٩٠٥، ومسلم - كتاب البر والصلة والآداب، باب نصر الأخ ظالما أو مظلوما، حديث رقم: ٢٥٨٤

٢ - رواه مسلم - كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم، وتحريم قطيعتها، حديث رقم: ٢٥٥٨

فإن مثل هذه الخصال القطيعة مع الإساءة مع الجهل من أثقل الأشياء على النفوس، ولا يكاد يتحملها إلا الأفذاذ كبار النفوس، وتكفي كل واحدة منها لتسبب نفورًا وقطيعة طول العمر، فكيف إذا اجتمعت؟

قال صاحب المرقاة: قوله: «مَا دُمْتُ» واقع موقع التأكيد وإشعار بأن هذا هو المسلك السديد، وإن كان على النفس لشديدًا.^١

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ تَنْطُفُ لِحْيَتُهُ مَاءً مِنْ وَضُوئِهِ مُعَلَّقٌ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ مَرْتَبَتِهِ الْأُولَى، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ مَرْتَبَتِهِ الْأُولَى، فَلَمَّا قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اتَّبَعَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِي فَقَالَ: إِنِّي لَأَحِثُّ أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَحِلَّ يَمِينِي فَعَلْتُ، فَقَالَ: نَعَمْ، قَالَ أَنَسُ: فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنُ الْعَاصِي يُحَدِّثُ أَنَّه بَاتَ مَعَهُ لَيْلَةً أَوْ ثَلَاثَ لَيَالٍ، فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ بِشَيْءٍ، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا انْقَلَبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللَّهَ، وَكَبَّرَ حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ فَيُسَبِّحُ الْوُضُوءَ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: غَيْرَ أَنِّي لَا أَسْمَعُهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا، فَلَمَّا مَضَتْ الثَّلَاثُ لَيَالٍ كَذْتُ أَحْتَقِرُ عَمَلَهُ، قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ وَالِدِي غَضَبٌ وَلَا هِجْرَةٌ، وَلَكِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي ثَلَاثِ مَجَالِسٍ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ» فَطَلَعْتَ أَنْتَ تِلْكَ الثَّلَاثَ مَرَّاتٍ، فَأَرَدْتُ آوِي إِلَيْكَ فَأَنْظِرُ عَمَلَكَ، فَلَمْ أَرَكْ تَعْمَلُ كَبِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ قَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، فَاَنْصَرَفْتُ عَنْهُ، فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي، فَقَالَ: مَا هُوَ

إِلَّا مَا رَأَيْتَ غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي غِلًّا لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا أَحْسِدُهُ عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ، قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو: هَذِهِ الَّتِي بَلَغْتَ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لَا تُطِيقُ.^١

تأمل قول الصحابي رضي الله عنه وهو يتكلم عن أرجى عمل عمله فيقول: "لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي غِلًّا لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا أَحْسِدُهُ عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ"، وأكثر الناس إذا أسيء إليه أدنى إساءة يظل متذكرًا لتلك الإساءة، ولا يمحوها من ذكرته الاعتذار، ولا الإحسان بعدها، ولا طول العهد بها. وتأمل قول عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: "هَذِهِ الَّتِي بَلَغْتَ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لَا تُطِيقُ". ولا يلزم أن يكون يقصد نفسه، أو أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ولكنه حال أغلب الناس إلا من رحم الله.

«وَحَقُّ لِمِيزَانٍ أَنْ لَا يُوضَعَ فِيهِ إِلَّا الْحَقُّ أَنْ يَكُونَ ثَقِيلًا».

وإذا كان الميزان لا يوضع فيه إلا الحق سيكون ثقیلاً راجحاً لا محالة، ومن ذلك قول المسلم: «سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ»؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ».^٢

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَا مِنْ شَيْءٍ يُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ، وَإِنَّ صَاحِبَ حُسْنِ الْخُلُقِ لَيَبْلُغُ بِهِ دَرَجَةً صَاحِبِ الصَّوْمِ وَالصَّلَاةِ».^٣

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٢٦٩٧، والنسائي في الكبرى - كتاب عمل اليوم والليلة، نوع آخر، حديث رقم: ١٠٦٣٣، بسند صحيح

٢ - رواه البخاري - كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح، حديث رقم: ٦٤٠٦، ومسلم - كتاب الذكر، والدعاء، والتوبة، والاستغفار، باب فضل التهليل، والتسبيح، والدعاء، حديث رقم: ٢٦٩٤

٣ - رواه الترمذي - أبواب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في حسن الخلق، حديث رقم: ٢١٢١، بسند صحيح

وفي رواية: «مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفَقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ، وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرَّفَقِ، فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ، أَثْقَلَ شَيْءٍ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُسْنُ الْخُلُقِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيَّ»^١.

ومن العبادات التي لها ثقل عظيم جداً على النفوس الجهاد في سبيل الله؛ فإن الشيطان يأتي المؤمن ويخوفه الموت إذا حضر القتال، ويصور له حال أهله من بعده، قائلاً له ستزوج امرأتك بعد موتك، ويتشرد أولادك، وتفقد مالك، فيضيق صدره بالجهاد، وتكرهه نفسه؛ قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^٢.

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾^٣.

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾^٤.

«وَإِنَّ اللَّهَ ذَكَرَ أَهْلَ الْجَنَّةِ بِصَالِحِ مَا عَمِلُوا، وَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ».

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾^٥.

١ - رواه البخاري في الأدب المفرد - باب الرفق، حديث رقم: ٤٦٤

٢ - سورة البقرة: الآية/ ٢١٦

٣ - سورة التوبة: الآية/ ٣٨

٤ - سورة النساء: الآية/ ٧٧

٥ - سورة الكهف: الآية/ ١٠٧

وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾^١.

«وَأَمَّا خَفَتْ مَوَازِينُ مَنْ خَفَتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمْ فِي الدُّنْيَا الْبَاطِلَ، وَخَفَّتْ عَلَيْهِمْ».

قول الصديق رضي الله عنه: «وَأَمَّا خَفَتْ مَوَازِينُ مَنْ خَفَتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.....»؛ لذلك صور شتى منها: أنهم اتخذوا دينهم لعباً ولهواً وغرهم الحياة الدنيا، هذا حال بعض الناس الذين بالنسبة له طوق في عنقه يخنقه، لا يتجمل به ولا يوارى له عورة، لا يذكره إلا في معرض السخرية والاستهزاء، والظعن في أحكامه، والذم لمعتنقيه؛ قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٧) يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٨) وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [الجاثية: ٧-٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [الأنعام: ٧٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٥]، وقد حذر الله تعالى المؤمنين من مجالسة من هذا شأنه، فقال: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨]، وقال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠]، بل أمر الله تعالى المؤمنين بترك موالاة ممن هذا شأنه، وإعلان البراءة منهم؛ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٥٧) وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾. [المائدة: الآية ٥٨]، ومن كان دأبه السخرية والاستهزاء بين الله تعالى فهو كافر بالله تعالى، وإن صلى

وصام وزعم أنه مسلم، فكيف إذا كان يصرح بعدائه للدين، وبغضه لأحكامه، وطعنه في شرائعه وحدوده، وسعيه لتقويض دعائمه، وهدم بنيانه؟

قال الله تعالى عمن هذا حاله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأَخْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٩]، ومما يحزن أن هذا حال كثير من الناس، والذي تولى كبره منهم صنف من الناس دأبوا على الطعن والسخرية والاستهزاء من الدين وأحكامه ورموزه، والتندر على كل ما يمت له بصلة، بدعوى الفن، وإدخال السرور على الناس، حتى استهان كثير من الناس بدين الله تعالى، وأحكامه وشرائعه ورموزه.

ومن هؤلاء الذين هذا حالهم أهل البدع؛ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»^١.

فالمبتدع لا يقبل له عمل، بل يردُّ عليه لمخالفة هدي النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقد قال الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]، روى ابن أبي الدنيا عن إبراهيم بن الأشعث في قوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [هود: ٧] قَالَ: أَخْلَصُهُ وَأَصَوَّبُهُ، قَالَ: إِنَّ الْعَمَلَ إِذَا كَانَ خَالِصًا وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا لَمْ يُقْبَلْ، وَإِذَا كَانَ صَوَابًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِصًا لَمْ يُقْبَلْ حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا، وَالْخَالِصُ إِذَا كَانَ لِلَّهِ، وَالصَّوَابُ: إِذَا كَانَ عَلَى السُّنَّةِ^٢.

وروي مثله عن الفضيل بن عياض رضي الله عنه^٣.

وقال الله تعالى: ﴿وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾^٤.

١ - رواه البخاري- كتاب الصلح، باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، حديث رقم: ٢٦٩٧، ومسلم- كتاب

الأفضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، حديث رقم: ١٧١٨

٢ - رواه ابن أبي الدنيا في الإخلاص والنية- حديث رقم: ٢٢

٣ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٨ / ٩٥)

٤ - سورة الزمر: الآية/ ٤٧

قال أبو حفص النسفي: قيل: أبطل الله عليهم أعمالاً كانوا عملوها في الدنيا يحسبون أنها تنفعهم، وأنها حسنات، فبدا لهم أنها سيئات.^١

وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾.^٢

عَنْ مُجَاهِدٍ قَوْلُهُ: وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ قَالَ: قَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ خَيْرٍ لَا يُتَقَبَّلُ مِنْهُمْ.^٣

وقال الفخر الرازي: قوله: ﴿إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾. يعني الأعمال التي اعتقدوها برّاً وظنوا أنها تقربهم إلى الله تعالى، والمعنى إلى ما عملوا من أي عمل كان. أما قوله: ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾، فالمراد أبطلناه وجعلناه بحيث لا يمكن الانتفاع به كالهباء المنثور الذي لا يمكن القبض عليه.^٤

ومن هؤلاء الذين خفت موازينهم يوم القيامة: قوم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها؛ فعَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: «لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ جَبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا»، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: «أَمَّا إِيَّاهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا».^٥

الواجب على المسلم مراقبة الله في السر والعلن، ويوقن أن الله تعالى مطلع عليه، لا تخفى عليه خافية؛ كما قال الله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

١ - التيسير في التفسير (١٣ / ٥٠)

٢ - سورة الفرقان: الآية / ٢٣

٣ - رواه ابن أبي حاتم: ١٥٠٦٧

٤ - مفاتيح الغيب (٢٤ / ٤٥١)

٥ - رواه ابن ماجه - كتاب الزهد، باب ذكر الذنوب، حديث رقم: ٤٢٤٥، بسند صحيح

[المجادلة: ٧]، وفي حديث جبريل عليه السلام: قَالَ: «الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»^١.

ومن هؤلاء الذين خفت موازينهم يوم القيامة مَنْ تعلقت بدمهم حقوق العباد ولم يتحللوا منها في الدنيا؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اتَذَرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ، وَلَا مَتَاعَ فَقَالَ: إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»^٢.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَتُؤَدَّنَ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجُلْحَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ»^٣.

وَعَنْهُ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهَا، فَإِنَّهُ لَيْسَ تَمَّ دِينَا وَلَا دِرْهَمٌ، مَنْ قَبِلَ أَنْ يُؤْخَذَ لِأَخِيهِ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ أَخِيهِ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ»^٤.

وَعَنْ بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حُرْمَةُ نِسَاءِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ كَحُرْمَةِ أُمَّهَاتِهِمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْقَاعِدِينَ يَخْلُفُ رَجُلًا مِنَ الْمُجَاهِدِينَ فِي أَهْلِهِ فَيَحُونُهُ فِيهِمْ، إِلَّا وَقَفَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَأْخُذُ مِنْ عَمَلِهِ مَا شَاءَ، فَمَا ظَنُّكُمْ؟»^٥.

١ - رواه البخاري-كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة، حديث رقم: ٥٠، عن أبي هريرة، ورواه مسلم- كتاب الإيمان، باب معرفة الإيمان والإسلام والقدر وعلامة الساعة، حديث رقم: ٨، عن عمر رضي الله عنه.

٢ - رواه مسلم- كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، حديث رقم: ٢٥٨١

٣ - رواه مسلم- كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، حديث رقم: ٢٥٨٢

٤ - رواه البخاري-كتاب الرقاق، باب القصاص يوم القيامة، حديث رقم: ٦٥٣٤

٥ - رواه مسلم- كتاب الإمارة، باب حرمة نساء المجاهدين وإثم من خأنهم فيهن، حديث رقم: ١٨٩٧

وفي رواية قَالَ: «مَا ظَنُّكُمْ تَرَوْنَ يَدْعُ لَهُ مِنْ حَسَنَاتِهِ شَيْئًا؟»^١.

«وَحَقٌّ لِمِيزَانٍ إِلَّا يُوضَعَ فِيهِ إِلَّا الْبَاطِلُ أَنْ يَخَفَّ».

فمن كان دينه اللهو واللعب، فكيف يكون له وزنًا يوم القيامة؟

قال الله تعالى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَهَوًّا وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾^٢.

والذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا كيف يكون لدينهم وزنًا يوم القيمة؟

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾^٣.

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾^٤.

«أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ أَهْلَ الْجَنَّةِ بِصَالِحٍ مَا عَمِلُوا».

قال الله تعالى عن أهل الجنة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾^٥.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^٦.

١ - رواه النسائي في الصغرى - كتاب الجهاد، من خان غازيًا في أهله، حديث رقم: ٣١٩١، والكبرى - كتاب الجهاد، من خان

غازيًا في أهله، حديث رقم: ٤٣٨٥، بسند صحيح

٢ - سورة الأنعام: الآية / ٧٠

٣ - سورة الأنعام: الآية / ١٥٩

٤ - سورة الأنفال: الآية / ٣٥

٥ - سورة الكهف: الآية / ١٠٧، ١٠٨

٦ - سورة البقرة: الآية / ٨٢

وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (٣٠) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ (٣١) الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ١﴾

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (٣٠) أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعَمَ الثَّوَابِ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ٢﴾

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ٣﴾

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢) يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ (٥٣) كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٥٤) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ (٥٥) لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٥٦) فَضلاً مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ٤﴾

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ (١٧) فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (١٨) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٩) مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْنُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٢٠) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا

١ - سورة النحل: الآية/ ٣٠ - ٣٢

٢ - سورة الكهف: الآية/ ٣٠، ٣١

٣ - سورة فاطر: الآية/ ٣٢ - ٣٥

٤ - سورة الدخان: الآية/ ٥١ - ٥٧

كَسَبَ رَهِيْنٌ (٢١) وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) يَتَنَزَّعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِمْ (٢٣) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ عِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ^١.

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ (١٩) الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعَمَ عُقْبَى الدَّارِ^٢.﴾

وقال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِدَابًا (٣٥) جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا^٣.﴾

«وَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ».

قال الله تعالى عن أهل الجنة: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَتَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ [الأحقاف: ١٦]، وقال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٥) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ^٤.﴾

«فَيَقُولُ الْقَائِلُ: أَلَا بَلَغَ هَؤُلَاءِ».

أي: بلغ هؤلاء مرادهم، وحققوا مطلوبهم، وفازوا فوزًا لا شقاء بعده أبدًا؛ قال الله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ (٤٦) وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ

١ - سورة الطور: الآية / ١٧ - ٢٤

٢ - سورة الرعد: الآية / ١٩ - ٢٤

٣ - سورة النبأ: الآية / ٣١ - ٣٦

٤ - سورة الطور: الآية / ٢٥ - ٢٨

(٤٧) وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رَجُلًا يَعْرِفُوهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (٤٨) أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ^١.

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ^٢﴾.

وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (٧٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ^٣﴾.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢) يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ (٥٣) كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٥٤) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ (٥٥) لَا يُدْفِقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٥٦) فَضَلًّا مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ^٤﴾.

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ. فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ. فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبِّ، وَقَدْ أُعْطِينَا مَا لَمْ تَعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ! فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيَكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ، وَآيُ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أَحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا^٥».

١ - سورة الأعراف: الآية/ ٤٦ - ٤٨

٢ - سورة آل عمران: الآية/ ١٨٥

٣ - سورة الزمر: الآية/ ٧٣، ٧٤

٤ - سورة الدخان: الآية/ ٥١ - ٥٧

٥ - رواه البخاري- كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع أهل الجنة، حديث رقم: ٧٥١٨، ومسلم- كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبدًا، حديث رقم: ٢٨٢٩

«وَذَكَرَ أَهْلَ النَّارِ بِسَيِّئِ مَا عَمِلُوا وَرَدَّ عَلَيْهِمْ صَالِحَ مَا عَمِلُوا».

قال الله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقَ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾^١.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ (٤٠) لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾^٢.

وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٧١) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾^٣.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (٧٤) لَا يُفَقَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٥) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ (٧٦) وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رُبُّكَ قَالِ إِنَّكُمْ مَعِثُونَ﴾^٤.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ (٤٣) طَعَامُ الْأَثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ (٤٦) خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٤٧) ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ (٤٨) ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (٤٩) إِنَّ هَٰذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ﴾^٥.

وقال تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ﴾^٦.

١ - سورة الحج: الآية / ١٩ - ٢٢

٢ - سورة الأعراف: الآية / ٤٠، ٤١

٣ - سورة الزمر: الآية / ٧١، ٧٢

٤ - سورة الزخرف: الآية / ٧٤ - ٧٧

٥ - سورة الدخان: الآية / ٤٣ - ٥٠

٦ - سورة محمد: الآية / ١٥

وقال تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آتِيَةٍ (٥) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيحٍ (٦) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ﴾.^١

«فَيَقُولُ الْقَائِلُ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ».

قول القائل: «أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ»، يحتمل أمرين:

الأول: معرفة نعمة الله تعالى عليه بالهداية والتحدث بها، وسؤاله ربه تعالى ألا يدخله مدخلهم، وألا يجعله منهم؛ كما قال الله تعالى عن المؤمنين الذين عاينوا مصارع الغابرين، قال تعالى عن قوم قارون حين خسف به وبداره الأرض: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ (٨١) وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَانَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [القصص: ٨١، ٨٢]، وكما أخبر تعالى عن أصحاب الأعراف حين صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار، فقال: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٧٤]، وكما أخبر الله تعالى عن أصحاب الجنة حين اطلعوا على أصحاب النار، قال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٥٠) قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ (٥١) يَقُولُ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ (٥٢) إِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ (٥٣) قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ (٥٤) فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ (٥٥) قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينَ (٥٦) وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِينَ (٥٧) أَفَمَا نَحْنُ بِمَبِيتِينَ (٥٨) إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ (٥٩) إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (٦٠) لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾.^٢

١ - سورة الغاشية: الآية / ٢ - ٧

٢ - سورة الصافات: الآية / ٥٠ - ٦١

والثاني: أن يقول هذا القول إعجاباً منه بعمله، كما هو حال بعض الناس؛ فعَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ: مَا أَحِبُّ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ، أَكُونَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ أَحَبُّ إِلَيَّ، فَقَالَ: لَكِنْ هَاهُنَا رَجُلٌ وَدَانُهُ إِذَا مَاتَ لَمْ يُبْعَثْ يَغْنِي نَفْسَهُ".^١

وهذا من اغترار العبد بنفسه، وثقته بعمله، ولم يكن هذا حال السلف رضوان الله عليه، بل شأنهم سوء الظن بأنفسهم مع حسن ظنهم بالله تعالى؛ فعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى شَابٍّ وَهُوَ فِي الْمَوْتِ، فَقَالَ: «كَيْفَ تَجِدُكَ؟»، قَالَ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَرْجُو اللَّهَ، وَإِنِّي أَخَافُ ذُنُوبِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ مَا يَرْجُو وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ».^٢

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ، إِنَّ السَّمَاءَ أَطَّتْ، وَحَقٌّ لَهَا أَنْ تَنُطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ، وَاللَّهُ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمَ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَدَّدْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرْشَاتِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعْدَاتِ، تَخَازُنُونَ إِلَى اللَّهِ». فَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْصَدُ.^٣

وعن داودَ بنِ أَبِي عَمْرَةَ؛ أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَمْسٌ حُدُوهُنَّ عَنِّي: لَا يَخَافَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَّا ذَنْبَهُ، وَلَا يَرْجُو إِلَّا رَبَّهُ، وَلَا يَسْتَحِي مِنْ لَا يَعْلَمُ أَنْ يَتَعَلَّمَ، وَلَا يَسْتَحِي مِنْ يَعْلَمُ إِذَا سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ: اللَّهُ أَعْلَمُ. إِنَّ الصَّبْرَ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ؛ إِذَا ذَهَبَ الصَّبْرُ ذَهَبَ الْإِيمَانُ، وَإِذَا ذَهَبَ الرَّأْسُ ذَهَبَ الْجَسَدُ.^٤

١ - رواه أحمد في الزهد - حديث رقم: ٨٦٩، وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٣٢)

٢ - رواه الترمذي - أبواب الجنائز عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب، حديث رقم: ٩٨٣، وابن ماجه - كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، حديث رقم: ٤٢٦١، والنسائي في الكبرى - كتاب عمل اليوم والليلة، ما يقول المريض إذا قيل له: كيف تجدك؟ حديث رقم: ١٠٨٣٤، والبخاري - حديث رقم: ٦٨٧٤، بسند حسن

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢١٥١٦، وابن ماجه - كتاب الزهد، باب الحزن والبكاء، حديث رقم: ٤١٩٠، بسند حسن

٤ - رواه سعيد بن منصور في التفسير - حديث رقم: ١٢٤٦، وابن أبي شيبه في مصنفه - كتاب الزهد، حديث رقم: ٣٤٥٠٤

وَعَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَوْ وَقَفْتُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ فَقِيلَ لِي: اخْتَرْتُ خَيْرَكَ مِنْ أَيْتِهْمَا تَكُونُ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَوْ تَكُونُ رَمَادًا، لَأَحْبَبْتُ أَنْ أَكُونَ رَمَادًا».^١

وعن الحارث بن سويد، قال: قال ابن مسعود رضي الله عنه: لو تعلمون علمي لحثوتم التراب على رأسي.^٢

وَعَنْ حِزَامِ بْنِ حَكِيمٍ قَالَ: قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَوْ تَعْلَمُونَ مَا رَأَوْنَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَا أَكَلْتُمْ طَعَامًا بِشَهْوَةٍ وَلَا شَرِبْتُمْ شَرَابًا عَلَى شَهْوَةٍ وَلَا دَخَلْتُمْ بَيْتًا تَسْتَظِلُّونَ فِيهِ وَلَحَرِصْتُمْ عَلَى الصَّعِيدِ تَضْرِبُونَ صُدُورَكُمْ وَتَبْكُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَلَوِدِدْتُ أَنِّي شَجَرَةٌ تُعْضَدُ ثُمَّ تُؤْكَلُ، قَالَ بُرْدٌ: وَبَلَغَنِي عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ مَرَّ بِهِ طَائِرٌ فَقَالَ: طُوبَاكَ يَا طَائِرُ تَأْكُلُ مِنَ الثَّمَرَاتِ وَتَسْتَظِلُّ بِالشَّجَرِ وَتَرْجِعُ إِلَى غَيْرِ حِسَابٍ.^٣

وَعَنِ الضَّحَّاكِ قَالَ: مَرَّ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِطَيْرٍ وَقَعَ عَلَى شَجَرَةٍ، فَقَالَ: «طُوبَى لَكَ يَا طَيْرُ؛ تَقَعُ عَلَى الشَّجَرِ وَتَأْكُلُ الثَّمَرَ، ثُمَّ تَطِيرُ وَلَيْسَ عَلَيْكَ حِسَابٌ وَلَا عَذَابٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مِثْلَكَ؛ وَاللَّهِ لَوِدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَنِي شَجَرَةً إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ، فَمَرَّ بِي بَعِيرٌ فَأَحْدَنِي فَأَدْخَلَنِي فَاهُ فَلَاكَنِي، ثُمَّ أَزْدَرَدَنِي، ثُمَّ أَخْرَجَنِي بَعْرًا وَلَمْ أَكُ بَشَرًا» قَالَ: وَقَالَ عُمَرُ: «يَا لَيْتَنِي كُنْتُ كَبَشٍ أَهْلِي، سَمَنُونِي مَا بَدَا لَهُمْ حَتَّى إِذَا كُنْتُ أَسْمَنَ مَا أَكُونُ زَارَهُمْ بَعْضُ مَا يُجْبُونَ فَجَعَلُوا بَعْضِي شِوَاءً وَبَعْضِي قَدِيدًا ثُمَّ أَكَلُونِي، فَأَخْرَجُونِي عَذَرَةً وَلَمْ أَكُ بَشَرًا» قَالَ: وَقَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يَا لَيْتَنِي كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ وَلَمْ أَكُ بَشَرًا».^٤

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «وَاللَّهِ لَوِدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَنِي يَوْمَ خَلَقَنِي شَجَرَةً تُعْضَدُ وَيُؤْكَلُ ثَمَرُهَا».^٥

١ - روا الطبراني في الكبير - حديث رقم: ٨٥٣٥، وأبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ١٣٣)

٢ - حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ١٣٣)

٣ - رواه أحمد في الزهد - حديث رقم: ٧٤٠

٤ - رواه هناد في الزهد - حديث رقم: ٤٤٩

٥ - رواه هناد في الزهد - حديث رقم: ٤٥٠

وَعَنْ كَعْبٍ قَالَ: «لَوِدِدْتُ أَنِّي كَبَشْتُ أَهْلِي، فَأَخَذُونِي، وَسَمَّنُونِي، وَذَبَحُونِي، فَأَكُلُونِي، وَأَطْعَمُوا ضَيْفَهُمْ».^١

وَعَنْ حُمَيْدِ بْنِ هِلَالٍ قَالَ: كَانَ هَرَمٌ بَنُ حَيَّانَ يَسِيرُ مَعَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ فَأَتَتْ إِحْدَى رَاحِلَتَيْهِمَا عَلَى صِلْيَانَةٍ^٢ فَانْتَفَشَتْهَا، فَقَالَ هَرَمٌ: «أَيْسُرُكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ، أَنَّكَ كُنْتَ هَذِهِ الصِّلْيَانَةَ فَانْتَفَشَتْهَا بِعَيْرِكَ فَلَمْ تَكُ شَيْئًا؟» قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: إِنِّي لَأَرْجُو بَعْدَ الْمَمَاتِ أَفْضَلَ مِمَّا أَصَبْتُ فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ هَرَمٌ لَكَيْتِي: «وَاللَّهِ لَوِدِدْتُ أَنِّي هَذِهِ الصِّلْيَانَةُ أَكَلْتَنِي هَذِهِ الدَّابَّةُ فَذَهَبْتُ، فَلَمْ أَكُ شَيْئًا».^٣

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «لَيْتَنِي إِذْ مِتُّ كُنْتُ نَسِيًا مَنَسِيًا».^٤

«وَذَكَرَ آيَةَ الرَّحْمَةِ وَآيَةَ الْعَذَابِ، فَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ رَاغِبًا رَاهِبًا».

قال الله تعالى: ﴿نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾. [الحجر: ٤٩، ٥٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٦٧]، وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ رَبَّكَ لَذُوْ مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الرعد: ٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الأنفطار: ١٣ - ١٤]، وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ * فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ * وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ * فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾.^٥

الواجب على المؤمن أن يكون لربه تعالى راغبًا راهبًا، خائفًا راجيًا، فإذا غلب عليه أحدهما هلك، بل الواجب أن يكون الخوف والرجاء للمؤمن كالجنّاحين للطائر؛ قال مكحول الدمشقي: من عبد الله بالحب وحده: فهو زنديق، ومن عبده بالخوف وحده: فهو حروري، ومن عبده بالرجاء وحده: فهو مرجئي، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء: فهو مؤمن موحد.

١ - رواه هناد في الزهد - حديث رقم: ٤٥٠

٢ - الصِّلْيَانَةُ بقلّة، والعرب تقول: الصِّلْيَان: خبز الإبل. ويقال للرجل إذا أسرع الحِلْفَ ولم يتتبع: جَدَّهَا جَدَّ الْعَيْرِ الصِّلْيَانَةُ.

٣ - رواه هناد في الزهد - حديث رقم: ٤٥٢

٤ - رواه هناد في الزهد - حديث رقم: ٤٥٣

٥ - سورة القارعة: الآية / ٦ - ٩

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنِطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ»^١.

وقد أمر الله تعالى عباده أن يدعوه خوفاً من سخطه وعذابه وطمعاً في رضوانه وجنته، فقال الله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفاً وَطَمَعاً إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦]، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (١٥) تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾^٢.

وأثنى الله تعالى على أنبيائه ورسله عليهم السلام والصالحين من عباده أنهم كانوا يدعون ربهم رغباً ورهباً، وكانوا له خاشعين؛ فقال تعالى عن زكريا عليه السلام وآله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾^٣.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِرَجُلٍ: «مَا تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ؟» قَالَ: أَتَشْهَدُ ثُمَّ أَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، أَمَا وَاللَّهِ مَا أَحْسِنُ دَنْدَنْتَكَ، وَلَا دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ. فَقَالَ: «حَوْلَهُمَا نُدْنِدُنْ»^٤.

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الرَّحْمَةَ يَوْمَ خَلَقَهَا مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً، وَأَرْسَلَ فِي خَلْقِهِ كُلِّهِمْ رَحْمَةً وَاحِدَةً، فَلَوْ يَعْلَمُ

١ - رواه مسلم - كتاب التوبة، باب: في سعة رحمة الله تعالى، وأنها سبقت غضبه، حديث رقم: ٢٧٥٥

٢ - سورة السجدة: الآية/ ١٥، ١٦

٣ - سورة الأنبياء: الآية/ ٩٠

٤ - رواه ابن ماجه - كتاب الدعاء، باب الجوامع من الدعاء، حديث رقم: ٣٨٤٧، ابن خزيمة - كتاب الصلاة «المختصر من المختصر من المسند الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم على الشرط الذي اشترطنا في كتاب الطهارة»، باب مسألة الله الجنة بعد التشهد وقبل التسليم والاستعاذة بالله من النار، حديث رقم: ٧٢٥، واليزار - حديث رقم: ٩١٨٦، والبيهقي في السنن الصغرى - كتاب الصلاة، باب التشهد في الصلاة، حديث رقم: ٤٤٦، بسند صحيح

الْكَافِرُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ لَمْ يَنْتَسِنِ مِنَ الْجَنَّةِ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ بِكُلِّ الَّذِي عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْعَذَابِ لَمْ يَأْمَنْ مِنَ النَّارِ»^١.

وَقَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ: «يَا بُنَيَّ ارْجُ اللَّهَ رَجَاءً لَا يُجِرُّكَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ، وَخَفِ اللَّهَ خَوْفًا لَا يُؤَيِّسُكَ مِنْ رَحْمَتِهِ»^٢.

وعن عمرو بن قيس: أن معاذ بن جبل لما حضره الموت قال: "انظروا أصبحنا؟ قال: فقيل: لم نصبح. حتى أتى فقيل له: قد أصبحت. قال: أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار. مرحبا بالموت. مرحبا، زائر مغرب حبيب جاء على فاقة. اللهم إنك تعلم أني كنت أخافك، فأنا اليوم أرجوك. إني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكري الأنهار، ولا لغرس الشجر، ولكن لظم الهواجر، ومكابدة الساعات، ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر"^٣.

وعن أسد بن وداعة قال: لما مرض حذيفة مرضه الذي مات فيه، قيل له: ما تشتهي؟ قال: "أشتهي الجنة. قالوا: فما تشتهي؟ قال: الذنوب. قالوا: أفلا ندعو لك الطبيب؟ قال: الطبيب أمرضني. لقد عشت فيكم على خلال ثلاث: للفقير فيكم أحب إلي من الغنى، وللضععة فيكم أحب إلي من الشرف، وإن من حمدي منكم ولامني في الحق سواء. ثم قال: أصبحنا؟ أصبحنا؟ قالوا: نعم. قال: اللهم إني أعوذ بك من صباح النار. حبيب جاء على فاقة. لا أفلح من ندم"^٤.

وقال يحيى بن معاذ الرازي: الإيمان ثلاثة: الخوف والرجاء والمحبة، وفي جوف الخوف ترك الذنوب، وفيه النجاة من النار، وفي جوف الرجاء الطاعة، وفيه وجوب الجنة؛ وفي جوف المحبة احتمال المكروهات، وبه تجد رضا الله عز وجل^٥.

١ - رواه البخاري- كتاب الرقاق، باب الرجاء مع الخوف، حديث رقم: ٦٤٦٩

٢ - رواه ابن أبي الدنيا- كتاب الوجل، رقم: ٦

٣ - كتاب المحتضرين لابن أبي الدنيا- حديث رقم: ١٢٧

٤ - كتاب المحتضرين لابن أبي الدنيا- حديث رقم: ١٢٩

٥ - رواه البيهقي في شعب الإيمان- حديث رقم: ١٠٣٣

وكان يحيى بن معاذ يقول: كيف أخافك وأنت كريم؟ وكيف لا أرجوك وأنت عزيز؟ فأنا بين خوف يقطعني ورجاء يوصلني، فلا رجائي يدعني فأموت خوفاً ولا خوفي يتركني فأحي فرحاً.^١

وقال محمد بن مطرف: "دخلنا على أبي حازم الأعرج لما حضره الموت، فقلنا: يا أبا حازم كيف تجددك؟ قال: "أجدني بخير. قال: أجدني راجياً لله، حسن الظن به. ثم قال: إنه والله ما يستوي من غدا وراح يعمر عقد الآخرة لنفسه فيقدمها أمامه قبل أن ينزل به الموت حتى يقدم عليها فيقوم لها وتقوم له، ومن غدا وراح في عقد الدنيا يعمرها لغيره، ويرجع إلى الآخرة لا حظ له فيها ولا نصيب".^٢

«وَلَا يَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ».

لا شك أن من أسباب الغفلة ومن الاغترار بالله تعالى: التفریط في الطاعات، والإسراف على النفس في المحرمات، مع تمني النجاة يوم القيامة، والدرجات العلى من الجنة، وما مثل من هذا حاله إلا كمثّل اليهود والنصارى الذين قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، وهم يحاربون دينه ويكذبون رسله؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة: ١٨]، وكمثّل اليهود الذين قالوا: لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة، وهم عبدوا غيره وقتلوا أنبياءه ورسله؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّاماً مَعْدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠]، وقد ردّ الله تعالى عليهم وعلى كل غرهم بالله الغرور فقال: ﴿بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١]، وحذر سبحانه وتعالى المؤمنين من هذه الأمة أن يسلكوا سبل الأماي الكاذبة كما فعل أهل الكتب قبلهم فقال تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً﴾ (١٢٣) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيراً^٣.

١ - رواه البيهقي في شعب الإيمان - حديث رقم: ١٠٣٤

٢ - كتاب المحتضرين - حديث رقم: ١٥٢

٣ - سورة النساء: الآية/ ١٢٣، ١٢٤

وَقَالَ الْحَسَنُ: «إِنَّ قَوْمًا أَهْلَتْهُمْ أَمَانِي الْمَغْفِرَةِ حَتَّى خَرَجُوا مِنَ الدُّنْيَا وَلَيْسَتْ لَهُمْ حَسَنَةٌ، يَقُولُ: إِيَّيَّيْ لِحَسَنُ الظَّنِّ بِرَبِّي، وَكَذَبَ لَوْ أَحْسَنَ الظَّنَّ بِرَبِّهِ لِأَحْسَنَ الْعَمَلِ».^١

وَقَالَ رَجُلٌ لِمُحَمَّدِ بْنِ الْمُنْكَدِرِ وَلِرَجُلٍ آخَرَ مِنْ قُرَيْشٍ: «الْجِدِّ الْجِدِّ، وَالْحَذَرِ الْحَذَرِ، فَإِنْ يَكُنِ الْأَمْرُ عَلَى مَا تَرْجُونَ كَانَ مَا قَدَّمْتُمْ فَضْلًا، وَإِنْ يَكُنِ الْأَمْرُ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ لَمْ تَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ».^٢

وَعَنْ مُطَرِّفٍ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «يَا إِخْوَتَاهُ اجْتَهِدُوا فِي الْعَمَلِ، فَإِنْ يَكُنِ الْأَمْرُ كَمَا تَرْجُونَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ وَعَفْوِهِ كَانَتْ لَنَا دَرَجَاتٌ، وَإِنْ يَكُنِ الْأَمْرُ شَدِيدًا كَمَا نَخَافُ وَنُحَازِرُ لَمْ نَقُلْ: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: ٣٧]، نَقُولُ: قَدْ عَمِلْنَا، فَلَمْ يَكُنْ يَنْفَعُنَا ذَلِكَ».^٣

وقال محمد بن أبي العتاهية: قال الرشيد رضوان الله عليه وعلى آبائه، لأبي: عظمي، قال: أخافك. قال: أنت آمن. فأنشده أبي:

إِذَا تَسَتَّرْتَ بِالْحُجَابِ وَالْحَرَسِ	*****	لَا تَأْمَنِ الْمَوْتَ فِي طَرَفٍ وَلَا نَفْسٍ
لِكُلِّ مُدَّرِعٍ مِنْهَا وَمُتَرِّسٍ	*****	وَأَعْلَمَ بِأَنَّ سِهَامَ الْمَوْتِ قَاصِدَةٌ
إِنَّ السَّفِينَةَ لَا تَجْرِي عَلَى الْيَبَسِ	*****	تَرْجُو النَّجَاةَ وَلَا تَسْلُكُ مَسَالِكَهَا

قال: فبكى الرشيد رضوان الله عليه، حتى بل كفه.^٤

١ - رواه ابن أبي الدنيا - كتاب الوجل، رقم: ٢

٢ - رواه ابن أبي الدنيا - كتاب الوجل، رقم: ٥

٣ - رواه ابن أبي الدنيا - كتاب الوجل، رقم: ٤

٤ - تاريخ دنيسر (ص: ١٩٤)

«وَلَا يُلْقَى بِيَدَيْهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ».

وإن من أعظم موارد الهلاك التفریط في الطاعات، والولوج فيما حرم الله تعالى؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾^١.

عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾»، قَالَ: نَزَلَتْ فِي النَّفَقَةِ»^٢.

وعن ابن عباسٍ. ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾. قال: ليس التَّهْلُكَةُ أَنْ يُقْتَلَ الرَّجُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلَكِنْ الْإِمْسَاكُ عَنِ النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

وعن عِكْرِمَةَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾. قال: لما أَمَرَ اللَّهُ بِالنَّفَقَةِ فَكَانُوا أَوْ بَعْضُهُمْ يَقُولُونَ: نُنْفِقُ فَيَذْهَبُ مَالُنَا وَلَا يَبْقَى لَنَا شَيْءٌ؟ قال: فقال: أَنْفِقُوا وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ. قال: أَنْفِقُوا وَأَنَا أَرْزُقُكُمْ.

«فَإِنْ أَنْتَ حَفِظْتَ قَوْلِي هَذَا فَلَا يَكُنْ غَائِبٌ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ».

يعني إن حفظت بوصيتي، وامثلت أمري، فلن يكون شيء أحبَّ إليك من لقاء الله تعالى؛ لما ترجموه من حسن المثوبة، فتكون كالجائب يقدم على أهله، وكالظمان الذي يرد على الماء؛ عَنْ أَبِي مُوسَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ»^٣. ومحبّة لقاء الله تعالى، والنظر إلى وجهه الكريم في جنة الخلد منتهى آمال الصالحين، والشوق إلى لقاء الأحبة محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه حال الصالحين؛ فهذا عمار بن ياسر رضي الله عنه يلقي الموت متبسما منشراح الصدر يعني نفسه بلقاء الأحبة؛ فعَنْ رِبْعَةَ بْنِ نَاجِدٍ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمَ صِفِّينَ،

١ - سورة البقرة: الآية / ١٩٥

٢ - رواه البخاري- كتاب التفسير، باب قول الله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾، حديث رقم: ٤٥١٦

٣ - رواه البخاري- كتاب الرقاق، باب: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، حديث رقم: ٦٥٠٨، ومسلم- كتاب الذكر، والدعاء، والتوبة، والاستغفار، باب: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، حديث رقم: ٢٦٨٦

قَالَ عَمَّارٌ: «الْيَوْمَ أَلْقَى الْأَجَبَةَ مُحَمَّدًا وَحِزْبَهُ، لَقَدْ قَاتَلْتُ بِهَذِهِ الرَّايَةِ ثَلَاثًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهَذِهِ الرَّابِعَةُ».^١

وعن سلمة بن كُهَيْل قال: قال عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ يَوْمَ صَفِّينَ: الْجَنَّةُ تَحْتَ الْبَارِقَةِ، الظُّمَّانُ قَدْ يَرِدُ الْمَاءُ الْمَاءُ مَوْزُودٌ، الْيَوْمَ أَلْقَى الْأَجَبَةَ مُحَمَّدًا وَحِزْبَهُ، وَاللَّهُ لَوْ ضَرَبُونَا حَتَّى يُبَلِّغُونَا سَعَفَاتِ هَجَرَ لَعَلَّمْتُ أَنَّا عَلَى حَقٍّ وَأَنَّهُمْ عَلَى بَاطِلٍ، وَاللَّهُ لَقَدْ قَاتَلْتُ بِهَذِهِ الرَّايَةِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَا هَذِهِ الْمَرَّةُ بِأَبْرَهَنَ وَلَا أَنْقَاهُنَّ.^٢

وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول: أحب الفقر تواضعًا لربي عز وجل، وأحب الموت اشتياقًا إلى ربي عز وجل، وأحب المرض تكفيرًا لخطاياي.^٣

عن الحارث بن عميرة الزبيدي قال: إني لجالس عند معاذ بن جبل وهو يموت، وهو يغمى عليه مرة ويفيق مرة، فسمعتة يقول عند إفاقته: «اخنق خنقك، فوعزتكَ إني لأحبك».^٤

وقال ليث بن أبي سليم: لما نزل بحذيفة بن اليمان الموت جزع جزعًا شديدًا، فقليل له: ما يبكيك؟ قال: «ما أبكي أسفا على الدنيا، بل الموت أحب إلي، ولكني لا أدري على ما أقدم، على الرضا أم على سخط؟».^٥

وعن الحسن قال: قال حذيفة في مرضه: «حبيب جاء على فاقة. لا أفلح من ندم. السر بعدي ما أعلم. الحمد لله الذي سبق بي الفتنة، قادتها وعلوجها».^٦

١ - رواه البزار - حديث رقم: ١٤١٠

٢ - الطبقات الكبرى (٢٣٨ / ٣)

٣ - رواه أحمد في الزهد - حديث رقم: ٨١١، وأبو داود في الزهد - حديث رقم: ٢٣٧، والبيهقي في شعب الإيمان - فصل في

ذكر ما في الأوجاع والأمراض، حديث رقم: ١٠٠٨٢

٤ - كتاب المحتضرين لابن أبي الدنيا - حديث رقم: ١٢٨

٥ - المحتضرين لابن أبي الدنيا - حديث رقم: ١٦٧

٦ - كتاب المحتضرين لابن أبي الدنيا - حديث رقم: ١٣٠

عن سرية الربيع قالت: لما احتضر الربيع بكت ابنته فقال: "يا بنية لا تبكي، ولكن قولي: يا بشري، اليوم لقي أبي الخير".^١

«وَلَا بَدَّ لَكَ مِنْهُ».

أي: ولا بد لك من الموت، فإن الله تعالى كتب الفناء على الخلق، وجعل لكل نفس أجلاً، وجعل لكل أجل كتاب؛ قال الله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ﴾ [الرعد: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.^٢

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧]، وقال تعالى: وقوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشِيدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ [الأنبياء: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾.^٣

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: «صَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةً صَلَاةَ الْعِشَاءِ، وَهِيَ الَّتِي يَدْعُو النَّاسُ الْعَتَمَةَ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا فَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَيْلَتَكُمْ هَذِهِ، فَإِنَّ رَأْسَ مِائَةِ سَنَةٍ مِنْهَا، لَا يَبْقَى مِمَّنْ هُوَ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَحَدٌ».^٤

«وَإِنْ أَنْتَ ضَيَّعْتَ قَوْلِي هَذَا فَلَا يَكُنْ غَائِبٌ أَبْغَضَ إِلَيْكَ مِنْهُ وَلَنْ تُعْجِزَهُ».

يعني وإن أنت فرطت في وصيتي وخالفت أمري، فلن يكون شيء أبغض إليك من لقاء الله تعالى، لما اقترفته من التقصير في حقه، والجرأة على حرماته، ولن تعجزه فغنك في قبضته وتحت سلطانه، وقدوم العاصي على ربه تبارك وتعالى كقدوم العبد الآبق على سيده، فما ظنك من يقدم على ربه وقد

١ - كتاب المحتضرين لابن أبي الدنيا - حديث رقم: ١٤٥

٢ - سورة الأعراف: الآية/ ٣٤

٣ - سورة البقرة: الآية/ ١٥٥

٤ - رواه البخاري - كتاب مواقيت الصلاة، باب ذكر العشاء والعتمة ومن رآه واسعاً، حديث رقم: ٥٦٤

بارزه طول عمره بالحرب، واستحل محارمه، واستنكف عن عبادته، وآثر شهوات نفسه على محابه، فإذا حضره الموت وبشر بعذاب الله تعالى، أيقن بالهلاك، وآيس من النجاة فضايق صدره، وجزعت نفسه، وكره لقاء الله تعالى.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَكْرَاهِيَةُ الْمَوْتِ؟ فَكُلُّنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ فَقَالَ: لَيْسَ كَذَلِكَ وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ، فَأَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا بُشِّرَ بِعَذَابِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ، وَكَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ»^١.

١ - رواه البخاري - حديث رقم: ٦٥٠٧، ومسلم - حديث رقم: ٢٦٨٤

المحتويات

المقدمة	٢
ترجمة زُبَيْدِ الْيَامِي	٦
ترجمة عمر بن الخطاب رضي الله عنه	٨
ترجمة أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه	١٦
«إِنِّي مُوصِيكَ بِوَصِيَّةٍ إِنْ حَفِظْتَهَا»	٢٢
حدُّ الوصية:	٢٢
مِنْ وَصَايَا الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ:	٢٧
وصية إِبْرَاهِيمَ وَيَعْقُوبَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لأَبْنَائِهِمْ:	٢٧
وصية لُقْمَانَ الْحَكِيمِ لابْنِهِ:	٢٨
وصية نوح عليه السَّلَامُ لابْنِهِ:	٢٨
مِنْ وَصَايَا السَّلَفِ رضي الله عنهم:	٢٩
وصية عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه لابنه:	٢٩
وصية عَائِشَةَ رضي الله عنها ليزيد بن الأصم:	٢٩
وصية مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ لرجلٍ جاء يُسَلِّمُ عليه:	٣٠
وصية صَيْفِيٍّ بْنِ رَبَاحٍ التَّمِيمِيِّ لَبْنِهِ:	٣٠
نصيحة مسعر بن كدام لولده:	٣٠
النصيحة حق المسلم على المسلم:	٣١
منزلة عمر رضي الله عنه عند أبي بكر الصديق رضي الله عنه:	٣٢

- ٣٢ - قيمة الوصية إذا أتت من إنسان له دينٌ وافِرٌ وعقلٌ راجحٌ:
- ٣٥ قيمة وصية أبي بكر رضي الله عنه:
- ٤٤ «وَأَيُّهَا لَا تُقْبَلُ نَافِلَةٌ حَتَّى تُؤَدَّى الْفَرِيضَةُ».....
- ٥٩ «وَإِنَّ اللَّهَ ذَكَرَ أَهْلَ الْجَنَّةِ بِصَالِحِ مَا عَمِلُوا، وَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ».....
- «وَأَمَّا حَقَّتْ مَوَازِينُ مَنْ حَقَّتْ مَوَازِينُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِاتِّبَاعِهِمْ فِي الدُّنْيَا الْبَاطِلَ، وَخَفَّتْ عَلَيْهِمْ، وَحُقِّ لِمِيزَانٍ إِلَّا يُوضَعَ فِيهِ إِلَّا الْبَاطِلُ أَنْ يَخَفَّ».....
- ٦٠
- ٦٤ «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ أَهْلَ الْجَنَّةِ بِصَالِحِ مَا عَمِلُوا».....
- ٦٦ «وَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ».....
- ٦٦ «فَيَقُولُ الْقَائِلُ: أَلَا بَلَغَ هَؤُلَاءِ».....
- ٦٨ «وَذَكَرَ أَهْلَ النَّارِ بِسَيِّئِ مَا عَمِلُوا وَرَدَّ عَلَيْهِمْ صَالِحِ مَا عَمِلُوا».....
- ٦٩ «فَيَقُولُ الْقَائِلُ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَؤُلَاءِ».....
- ٧٢ «وَذَكَرَ آيَةَ الرَّحْمَةِ وَآيَةَ الْعَذَابِ، فَيَكُونُ الْمُؤْمِنُ رَاغِبًا رَاهِبًا».....
- ٧٥ «وَلَا يَتَمَتَّى عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ».....
- ٧٧ «وَلَا يُلْقِي بِيَدَيْهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ».....
- ٧٧ «فَإِنْ أَنْتَ حَفِظْتَ قَوْلِي هَذَا فَلَا يَكُنْ غَائِبٌ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنَ الْمَوْتِ».....
- ٧٩ «وَلَا بُدَّ لَكَ مِنْهُ».....
- ٧٩ «وَإِنْ أَنْتَ ضَيَّعْتَ قَوْلِي هَذَا فَلَا يَكُنْ غَائِبٌ أَبْغَضَ إِلَيْكَ مِنْهُ وَلَنْ تُعْجِزَهُ».....
- ٨١ المحتويات.....

